2274
.83235
.313

2274.83235.313
al-Saqqāf
al-Awrāq

DATE	ISSUED TO
OCT 3 1966	Bindery

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074325943

أحمد محمد زين السقاف

الأوراق

« كتاب يبحث في أشهر ديارات العراق
والشعراء الذين كانوا يتطرحون فيها »

« محاسن الدير تسبيحي ومسباحي وخمره في الدجى صبحي ومصباحي »
« أقمت فيه الى أن صار هيكله بيتي ، ومفتاحه للحسن مفتاحي »
« منادماً في قلاليه رهـابنة راحت خلائقهم أصفى من الراح »
« قد عدلوا ثقل اديان ومعرفة منهم بخفـة ابدان وارواح »
« ووشحوا غرر الآداب فلسفـة وحكمة بعلوم ذات ايضاح »
« في طب بقراط لحن الموصلي وفي نحو المبرد أشعـار الطرمّاح »

« الخالدي الكبير »

al-Saqqāf, Aḥmad Muḥammad Zayn

أحمد محمد زين السقاف

al-Awrāq

الأوراق

« كتاب يبحث في أشهر ديارات العراق
والشعراء الذين كانوا يتطرحون فيها »

« محاسن الدير تسبيحي ومسباحي وخمره في الدجى صبحي ومصباحي »
« أقمت فيه الى أن صار هيكله بيتي ، ومفتاحه للحسن مفتاحي »
« منادماً في قلاليه رهـــابنة راحت خلائقهم أصفى من الراح »
« قد عدلوا ثقل اديان ومعرفة منهم بخفـــة ابدان وارواح »
« ووشحوا غرر الآداب فلسفـــة وحكمة بعلوم ذات ايضـاح »
« في طب بقراط لحن الموصلي وفي نحو المبرد أشعـــار الطرمّاح »

« الخالدي الكبير »

2274
.83235
.313

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

١٩٥٤

مقدمة

•

أما بعد ؛ فقد مَنَّ الله عليَّ بانجاز هذا الكتاب ؛ بعد مضي سنوات ثلاث قضيتها في البحث والتنقيب والتدقيق والتمحيص ؛ متحملاً شيئاً غير قليل من العناء ، لقلة المصادر ، وندرة الكتب المؤلفة في بابه . ولا أكون مبالغاً ان قلت إن ما صنف في الديارات لا يزيد على بضعة كتب ذهبت أدراج الرياح حاشى كتاباً صغيراً صنفه الأديب المعاصر الأستاذ حبيب زيات ووسمه بالديارات النصرانية في الاسلام ، والكتاب على نفعه الجم لم يلتفت فيه مصنفه الى تعريف المكان تعريفاً وافياً أو الى الترجمة المفيدة لحياة الشاعر الذي استشهد بشعره .

أما كتاب الشابشتي الشهير الموسوم بالديارات فانه ناقص لضياع بعض كراريسه ، وقد تفضل بنشره بعد تحقيق فيه وتعقيب عليه الأديب الفاضل كوركيس عواد امين مكتبة المتحف العراقي

ببغداد وجل ما في ديارات الشابشتي أورده العمري في كتابه مسالك الابصار

بقي سؤال قد يخطر بخلد القارىء عن سبب اقدامي على التأليف في هذا الباب ؛ فأقول : ان الفضل يرجع الى مجلة المشرق، فلقد خلقت فيّ مطالعتها ـ منذ ١٩٣٨ ـ نزوعاً الى الاهتمام بالأديرة واستقصاء أخبارها والوقوف على ما كانت تقدمه من جليل الخدمات للمحتاجين والمنقطعين وعابري السبيل ؛ ثم دفعتني الى تتبع أخبار الشعراء المتطرحين في الأديرة ؛ لأني كنت مؤمناً بأن حياة الشاعر ليست ذات جانب واحد يمكن الوقوف عليها بقراءة قصيدة قالها أمام أمير او خليفة وأنما حياته الحقة ما كانت بعيدة عن تكلف المناسبات المتزمتة ؛ ولذلك فلا بد من تتبعها والبحث عن جوانبها الكثيرة سواء أكانت في دير أم في جامع ، في حانة أم في دسكرة .

وقد زاد في رغبتي هذه ما وجدته في مطالعاتي من مفارقات لطيفة وقصص وحكايات ونوادر ، وقد نوهت عن مصادرها في الهامش سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة .

والغرض الاول من وراء هذا التصنيف تزويد المكتبة العربية بمحاولة سليمة القصد تضاف الى ما خلفت من آثار قلمية بسيطة .

ومن الادعاء بمكان أن اقول ان كتابي هذا خال عن كل نقص وعيب ؛ غير أني مطمئن الى ما بذلته فيه من الجهد ، وحسبه ما زخر به من الاخبار والحوادث وترجمته لاكثر من خمسة وعشرين شاعراً من شعراء الديارات . وقد بوبته الى ابواب ثلاثة : احدها لديارات بغداد ، وثانيها لديارات الموصل ، وثالثها لديارات الحيرة ، وأسميته الاوراق لاقتصاري الحديث على الشهيرة منها (١).

وأملي أن أكون قد قمت بعملٍ ذي بالٍ والله المستعان بدءاً وختاماً ؟

عاليه ـ صيف ١٩٥٤ — احمد الساقاف

---

(١) لم يبق من هذه الاديرة سوى دير واحد هو دير متى في الموصل ، وقد تداعت خلال انهيار الخلافة العباسية وخربت بتوالي غزوات التتار وغيرهم من اجلاف الأعاجم ؛ ممن عملوا على تخريب العراق وافقار سكانه وتشتيت علمائه وادبائه ؛ ولا غرو فقد كانت الاديرة معاقل للغة والأدب والفلسفة والحكمة ، وكم أسدى هؤلاء الرهبان من أياد بيضاء نحو العلوم العربية منذ العصور الاسلامية حتى اليوم .

دیارات بغداد

دَيرُ ٱلعَلث[1]

•

يقع دير العلث في الجانب الشرقي من دجلة ، قرب قرية تسمى العلث [2] مجاورة للحظيره [3] ومحله أحسن محل وانزهه وكان يقصد من كل بلد ، ولا يكاد يخلو من منحدر ومصعد ، ومن دخله لا يتجاوزه الى غيره لطيبه ونزهته ووجود جميع ما يحتاج اليه في قرية العلث .

وكانت السفن تلاقي كثيراً من المشاق في طريقها الى العلث لضيق المجاز الموصل إليها ووجود الصخور الكبيرة في النهر ، وربما استعان قائد السفينة بهادٍ من أهل القرية حتى ينجو من تلك المواضع الصعبة .

---

(١) العلث : بفتح العين المهملة وسكون اللام .

(٢) كانت تقع على دجلة بين عكبرا وسامراء .

(٣) الحظيرة : قرية كبيرة من قرى بغداد من ناحية دجيل كانت مشهورة بنسج الثياب .

وقد كان وقوع هـذا الدير بين مدينتين (١) عظيمتين تتمتعان بنعيم العواصم وتزهوان بالملك والسلطان من الأسباب التي جعلته في كل وقت مضيفاً للشعر والأدب والخلافـة والوزارة ؛ فيوماً ينزله شاعر يستوحي من حسن أهله ، وجمال بساتينه ، وجودة قهوته أنغاماً شجية ، ويوماً ينزله مؤرخ يستقصي اخباره وأخبار رهبانه ، وقصص طراقه ، ويومـاً ينزله خليفة أو أمير للراحة والمتعة فلا عجب بعد هذا إذا ما طلب جحظة من جادفي سفينته أن يحططا له الشراع بدير العلث بقوله :

أيها الجادفان بالله جدا ... واصلحا لي الشراع والسكانا
بلغاني هديتما البردانا (٢) ... وابزلا (٣) لي من الدنان دنانا
واعدلا بي إلى القبيصة (٤) فالرو ... حاء (٥) ، حتى افرج الأحزانا
فاذا ما تممت حولاً تمامـاً ... فاعدلا بي إلى كروم أوانا (٦)
واحططا لي الشراع بالدير بالعلـ ... ـث لعـلي أعاشر الرهبـانا

---

(١) بغداد وسامراء .
(٢) البردان : بفتح الباء والراء قرية من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها وهي من نواحي دجيل .
(٣) ابزلا : انقبا .
(٤) بفتح القاف قرية قرب سامراء .
(٥) الروحاء : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية .
(٦) أوانا : قرية نزهة ذات اشجار من نواحي دجيل .

وجحظة شاعر رقيق واسمه أحمد وأبوه جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي . ولد في شعبان سنة ٢٢٤ هـ ونشأ ميالاً الى اللغة والأدب والشعر والفلك والطرب فأجادها ، وألف فيها ، وكان كثير النوادر ظريف العشرة ، حسن الصوت ، عذب الحديث ، نادم الخلفاء ومن بينهم عبد الله بن المعتز وهو الذي لقبه جحظة .

وقد جمع جحظة الى هذه المواهب صفات شائنة كالقذارة والدناءة ورقة الدين ، ولكنه كان مقبولاً لأدبه وخفة روحه . قيل انه دخل يوماً وهو في ميعة الصبا على عريب المأمونية مع اثنين من الظرفاء فأنكرته وسألت عنه ، فقيل لها هذا من أهلك انه جعفر بن موسى البرمكي وهو يغني بالطنبور ، فأدنته ودعت بطنبور وأمرته أن يغني فغنى اصواتاً استحسنتها ، وتنبأت له بصيت في الغناء ، وامرت له بمائة دينار (١) .

ولقي جحظة في عيشه شدة لكساد سوق الشعر فتبرم من الحياة وندب السماح وارباب السماح واللبيب يلمس هذا في قصائده التي لاتخلو من تعريض او تلميح نحو هذا المعنى أما أشعاره فجلها

---

(١) كانت عريب جارية للمأمون وكانت من أحسن النساء وجهاً ، وافصحهن لساناً وأصنعهن كفاً .

جيد ، ومن لطيفها قوله :

طرقنا بزوغى (١) حين اينعم زهرها

وفيهـا لعمر الله للعـين منظر

وكم من بهار يبهر العـين حسنه

ومن جدول بالبارد العذب يزخر

ومـن مستحث بالمدام كأنـه

وان كان ذمياً أمـير مؤمر

وفي كفه اليمنى شراب مورد

وفي كفه اليسرى بنان معصفر

شقائق تندى بالندى فكأنها

خدود عليهن المدامـع تقطر

وكم ساقط شكراً يلوك لسانـه

وكم قائل هجراً (٢) وما كان يهجر (٣)

وكم منشد بيتـاً وفيه بقيـة

من العقل إلا انه متحير !

---

(١) بزوغى : بفتح الأول قرية من قرى بغداد قرب الزرفة على فرسخين من بغداد .

(٢) هجراً : بضم الهاء فحشاً .

(٣) يهجر : يفحش ، اي يقول القبيح من الكلام .

« فكان مجني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر »

وكم من حسان (١) جس اوتار عوده
فألهب ناراً في الحشا تتسعر
يغني وأسباب الصواب تمده
بصوت جليل ذكره حين يذكر
أحن حنين الواله الطرب الذي
ثنى شجوه بعد الغداء التذكر
أجحظة ان تجزع على فقد معشر
فقدت بهم من كان للكسر يجبر
وأصبحت في قوم كأن عظامهم
اذا جئتهم في حاجة تتكسر !
فصبراً جميلاً إن في الصبر مقنعاً
على ما جناه الدهر والله اكبر !

وقوله في بزوغى أيضاً وكان كثير الهيام بها ، كثير التطرح والقصف فيها :

---

(١) حسان : بضم الأول من أربى بحسنه على اترابه .

شبيهك يامولاي قد حان ان يبدو
فهل لك أن تغدو وفي الحزم أن تغدو

على قهوة مسكية بابلية
لها في أعالي الكاس من مزجها عقد

فقد ازعج الناقوس من كان وادعاً
وأهدى الينا طيب أنفاسه الوردُ

وهذي بزوغى والغروب وطائر
على الغصن لا يدري أيندب ام يشدو

فقام وفضلات الكرى في جفونه
وفي برده (١) غصن يتيه به البرد

فناولته كأساً فاسرع شربها
ولم يك لي من أن اساعده بد

فغنى وقد غابت سمادير سكره
« الا من لصب قد تحيفه الوجد »

سقى الله أيامي برحبة هاشم
الى دار شرشير وان قدم العهد

---

(١) البرد : ثوب معروف اشتهرت اليمن بصنعه .

فقصر ابن حمدون الى الشارع الذي

غنينا بـه والعيش مقتبل رغد
منازل كانت بالملاح أنيسة
فأضحت ،وما فيهن دعد ولا هند
فسبحان من أضحى الجميع بأمره
وتقديره « ايدى سبا » وله الحمد

وله في كركين (١) :

يا نسيم الروض بالأسـ ـحار هيجت ارتياحي
لقرى كركين والقفص (٢) «م» وعصيان اللواحي
واستماعي ملح الاصـ ـوات من قوم ملاح
أحمد الله لقد مات غبوقي واصطباحي
كم سرور مات لما مات ارباب السماح

وله في قرية العلث وقد طرق حاناتها وشرب المدام مع رهبانها :

وحانة بالعلث وسط السوق نزلتها وصارمي رفيقي
على غلام من بني الجثليق بكل فعل حسن خليق

(١) كركين : بكسر الأول قرية من قرى بغداد قرب البردان
(٢) القفص : بضم فسكون قرية من قرى بغداد جنوب بكر .

فجاء بالجام وبالابريق أما رأيت قطع العقيق ؟!
أما رأيت شفق البروق أما شممت نكهة المعشوق !
ما أحسن الأيام بالصديق على صبوح وعلى غبوق !
ان لم يحل ذاك الى التفريق

ولجحظة شعر كثير في الفكاهة منه :

لنا صاحب من ابرع الناس في البخل
وافضلهم فيه وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه
فجئت كما يأتي الى مثله مثلي !
فلما جلسنا للغداء رأيته
يرى أنما من بعض اعضائه اكلي
ويغتاظ احياناً ويشتم عبده
وأعلم أن الغيظ والشتم من اجلي
أمد يدي سراً لآكل لقمة
فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل
الى أن جنت كفي لختفي جناية
وذلك أن الجوع أعدمني عقلي

فأهوت يميني نحو رجل دجاجة

فجُرت - كما جرّت يدي رجلها - رجلي

وكانت وفاة جحظة سنة ٣٢٦ هـ بواسط ، وحمل منها الى بغداد ودفن فيها .

دير دُرتا

•

كان موقعه قرب قطربل في موضع يدعى درتا (١) محاذياً لباب الشماسية ، وكان يطل على نهر دجلة من جهة الغرب .

وهذا الموضع من اكثر المواضع مياهاً وزروعاً واشجاراً ، ومن ألطفها نزهة وأغناها بالمتع واللذاذات . والدير يمتاز بحسن عمارته ، وكثرة سكانه وعناية الرهبان بزراعة الفواكه والبقول وشجيرات الورود والرياحين حوله. ولقرب الدير من بغداد أمه المتنزهون وطرقه المتطرحون ، فنعم اولئك بالنزهة وحظي اولاء باللذاذة والمتعة ، وسعد الدير بالشعر الرقيق .

وكان من جملة الشعراء الهائمين بمحاسنه ابن الشبل البغدادي ، وله فيه هذه الأبيات :

---

(١) درتا : بضم الأول وسكون الثاني .

بنا الى الدير من درتا صبابات

فلا تلمني فما تغني الملامات (١)

ياحبذا السحر الأعلى وقد نشرت

نسيمه الغض روضات وجنات

فكم قضيت لبانات الشباب بها غنماً وكم بقيت عندي لبانات

ما أمكنت دولة الافراح مقبلة فانعم ولذ فان العيش تارات

قبل ارتجاع الليالي كل عارية فانما لذة الدنيا إعارات

فما التعلل لولا الكاس في زمن احياؤه باعتياد الهم أموات

دارت تحيي فقابلنا تحيتها وفي حشاها لقرع المزج روعات

عذراء أخفى كرور الدهر صورتها لم يبق من روحها إلا حشاشات

قدوقع الدهر سطراً في صحيفتها لافارقت شارب الراح المسرات

خذ ماتعجل واترك ماوعدت به فعل الأديب ففي التأخير آفات

وللسعادة اوقات ميسرة تعطي السرور وللأحزان أوقات

وابن الشبل البغدادي هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل ، ولد ببغداد ونشأ فيها ؛ وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً وأديباً بارعاً وشاعراً مجيداً (٢) . وكان مادياً في فلسفته

(١) الصبابات : ج صبابة وهي الشوق والولع الشديد .

(٢) انظر طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ص ٢٤٧ ودمية القصر لأبي الحسن الباخرزي ص ٨٣ .

يقول بفناء الحياة ووجوب اغتنام لذاذاتها خلافاً لما كان يرى فيلسوف المعرة من الترفع عنها والزهد فيها ، ونظرته هذه حدته إلى الاكثار من معاقرة الصهباء والاسترسال في طلب اللذاذات،وكانت وفاته ببغداد سنة ٤٧٤ هـ . ومن شعره في الحكمة هذه القصيدة العصماء الدالة على قوة الاطلاع في العلوم الحكمية والاسرار الالهية قال :

بربك أيها الفلك المدار ... أقصد ذا المسير ام اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء ... ففي افهامنا منك انبهار ؟!!
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء ... سوى هذا الفضاء به تدار ؟!
وعندك ترفع الأرواح أم هل ... مع الأجساد يدركها البوار ؟!
وموج ذا المجرة ام فرند ... على لجج الدروع له أوار ؟ (١)
وفيك الشمس رافعة شعاعاً ... بأجنحة قوادمها قصار !
وطوق في النجوم من الليالي ... هلالك ام يد فيها سوار
وشهب ذي الخواطف ام ذبال ... عليها المرخ يقدح والعفار (٢)
وترصيع نجومك ام حباب ... تؤلف بينه اللجج الغزار
تمد رقومها ليلاً وتطوي ... نهاراً مثلما طوي الازار

(١) الأوار : العطش .
(٢) المرخ : شجر سريع الوري يقتدح به وكذا العفار .

فكم بصقالها صدي البرايا ... وما يصدى لها أبداً غرار (١)
تباري ثم تخنس راجعات ... وتنكس مثلما نكس الصوار (٢)
فبينا الشرق يقدمها صعوداً ... تلقاها من الغرب انحدار
على ذا ما مضى وعليه يمضي ... طوال منى وآجال قصار
وايام تعرفنا مداها ... لها انفاسنا أبداً شفار
ودهر ينثر الأعمار نثراً ... كما للغصن بالورد انتثار
ودنيا كلما وضعت جنيناً ... غذاها من نوائبها ظؤار (٣)
هي العشواء ما خبطت هشيم ... هي العجماء ماجرحت جبار (٤)
فمن يوم بلا أمس ليوم ... بغير غد اليه بنا يسار
ومن نفسين في أخذ ورد ... لروح المرء في الجسم انتشار
وكم من بعد ما الفت نفوس ... جسوماً عن مجاثمها تطار
الم تك بالجوارح آنسات ... فكم بالقرب عاد لها نفار (٥)؟!
فان يك آدم أشقى بنيه ... بذنب ما له منه اعتذار
ولم ينفعه بالاسماء علم ... وما نفع السجود ولا الجوار

---

(١) الغرار : حد السيف .
(٢) الصوار : القطيع من البقر .
(٣) الظؤار ج ظئر : العاطفات على اولاد غيرهن .
(٤) الجبار : الهدر .
(٥) مرفوع تك ضمير عائد على نفوس .

فأخرج ثم اهبط ثم اودي ... فترب السافيات له شعار
فأدركه بعلم الله فيه ... من الكلمات للذنب اغتفار
ولكن بعد غفران وعفو ... يعير ما تلا ليلاً نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه ... وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل أضل ولا خوار
فيا لك أكلة ما زال منها ... علينا نقمة وعليه عار !!
نعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في حشا الأم الحوار(١)
وننتظر الرزايا والبلايا ... وبعد فبالوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب احوجه الوجار(٢)
فما ذا الامتنان على وجود ... لغير الموجدين به الخيار
وكانت أنعماً لو ان كوناً ... نخير قبله او نستشار !
أهذا الداء له ليس دواء ... وهذا الكسر ليس له انجبار
تحير فيه كل دقيق فهم ... وليس لعمق جرحهم انسبار
اذا التكوير غال الشمس عنا ... وغال كواكب الليل انتثار
وبدلنا بهذي الأرض أرضاً ... وطوح بالسموات انفطار
وأذهلت المراضع عن بنيها ... لحيرتها وعطلت العشار

---

(١) ولد الناقة .
(٢) جحر الضب .

وغشى البدر من فرق وذعر خسوف للتوعد لا سرار (١)
وسيرت الجبال فكنّ كثباً مهيلات وسُجّرت البحار (٢)
فأين ثبات ذي الالباب منا واين مع الرجوم لنا اصطبار ؟!
واين عقول ذي الافهام مما يراد بنا واين الاعتبار ؟!
واين يغيب لب كان فينا ضياه من سناه مستعار ؟!
وما أرض عصته ولا سماء ففيم يغول انجمها انكدار (٣)
وقد وافته طائعة وكانت دخاناً ما لقاتره شرار (٤)
قضاها سبعة والأرض مهد دحاها فهي للأموات دار
فما لسمو ما أعلى انتهاء ولا لسمو ما أرسى قرار
ولكن كل ذا التهويل فيه لذي الالباب وعظ وازدجار

وله يرثي أخاه احمد :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحي من بعد ميت بقاء
مثلما في التراب يبلى الفتى فالـ ـحزن يبلى من بعده والبكاء
غير ان الاموات زالوا وبقوا غصصاً لا يسيغه الاحياء (٥)

---

(١) الفرق : الفزع .
(٢) سجرت : هاجت وارتفعت امواجها .
(٣) الانكدار : التناثر .
(٤) القاتر : ماله رائحة عند الحرق والطبخ .
(٥) الغصص : اعتراض شيء من الطعام او الشراب في الحلق .

انما نحن بين ظفر وناب ... من خطوب اسودهن ضراء (١)
نتمنى وفي المنى قصر العمـ ... ـر فنغدو بما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتدي نموت ونحيا ... أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا ... نت ولا كان اخذها والعطاء
راجع جودها عليها فمهما ... يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري تمر حلما بنا الأيـ ... ـام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يجنيه للعالم الكو ... ن فما للنفوس منه اتقاء
قبح الله لذة لأذانا ... نالها الأمهات والآباء !!
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ ... ـد فايجادنا علينا بلاء
وقليلاً ما تصحب المهجة الجسـ ... ـم ففيم الأسى وفيم العناء ؟!
ما دهانا من يوم احمد الاّ ... ظلمات ولا استبان ضياء
يا أخي عاد بعدك الماء سماً ... وسموماً ذاك النسيم الرخاء (٢)
والدموع الغزار عادت من الأنـ ... ـفاس ناراً تثيرها الصعداء
واعد الحياة عذراً وان كا ... نت حياة يرضى بها الاعداء
اين تلك الخلال والحزم اين الـ ... ـعزم اين السناء اين البهاء ؟!

---

(١) ضراء : ج ضار واسد ضار اي مولع بالافتراس .
(٢) الرخاء : من النسيم الذي لايحرك شيئاً .

كيف أودى النعيم من ذلك الظل ... وشيكاً وزال ذاك الغناء ؟!
كيف أرجو شفاء ما بي وما بي ... دون سكناي في ثراك شفاء
أين ذاك الرواء والمنطق المو ... نق اين الحياء اين الاباء ؟ (١)
ان محا حسنك التراب فما للد ... مع يوماً من صحن خدي امحاء
او تبن لم يبن قديم وداد ... او تمت لم يمت عليك الثناء
شطر نفسي دفنت والشطر باق ... يتمنى ومن منى الفناء
ان تكن قدمته ايدي المنايا ... فالى السابقين تمضي البطاء (٢)
يدرك الموت كل حي ولو أخ ... فته عنه في برجها الجوزاء
موت ذا العالم المفضل بالنط ... ق وذا السارح البهيم سواء
لا غوي لفقده تبسم الأر ... ض ولا للتقي تبكي السماء
انما الناس قادم اثر ماض ... بدء قوم للآخرين انتهاء

---

(١) الرواء : النضارة .
(٢) البطاء : ج بطيء .

دَيْر دَرمَالِس

•

يقع هذا الدير في باب الشماسية (١) قرب الدار المعزية (٢) شرقي بغداد، في موقع نزه تحف به البساتين النضرة والاشجار الباسقة، وهو من الاديار الكبيرة، الآهلة بالرهبان المطروقة من ارباب المجانة ورواد اللهو؛ قال عنه الشابشتي (٣): «وعيده احسن عيد يجتمع نصارى بغداد اليه ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة الا قصده، ويقيم الناس فيه اياماً ويطرقونه في غير الأعياد». وقد ورد ذكر هذا الدير في شعر بعض الشعراء ومما قاله فيه أبو عبد الله أحمد بن حمدون النديم:

---

(١) محلة بأعلى بغداد مجاورة لدير الروم وفيها كانت دار معز الدولة.

(٢) نسبة الى معز الدولة أحمد بن بويه.

(٣) صاحب كتاب الديارات ذكره ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٨.

يا دير درمالس(١) ما احسنك ويا غزال الدير ما افتنك
لئن سكنت الدير يا سيدي فان في جوف الحشا مسكنك
ويحك يا قلب ما تنتهي عن شدة الوجد بمن أحزنك
ارفق به بالله يا سيدي فانه من حتفه مكنك

أما ابن حمدون هذا فهو احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود ابن حمدون النديم ، كان من المقربين لدى المتوكل لأدبه وعلمه ، وتفقهه في اللغة . كان المتوكل لا يطيق صبراً عن منادمته حتى حدث منه ما غير عليه الخليفة فأمر بنفيه الى تكريت ؛ فأقام بها مدة ، ثم ان الخليفة جدد له خاطره اساءة ابن حمدون وهو في حالة شراب فأمر سيافه زرافة بالمضي الى تكريت وقطع اذن ابن حمدون ، ولما بلغ ابن حمدون قدوم السياف ودع الدنيا ، وظن في نفسه ان الأجل قد حم ؛ غير أن زرافة انبأه امر الخليفة ، فذهب ما كان قد اصابه من الروع ، وقطع زرافة جزءاً من غضروف اذنه ووضعه في كافور ، وعاد من حيث أتى ، وحذر ابن حمدون الى بغداد ولزم داراً له فيها لا يخرج منها الا لحاجة ؛ حتى رضي عنه المتوكل وأعاده الى خدمته . وبعد مقتل المتوكل نادم المستعين حتى خلع ، وكانت صلات المستعين له اكثر من صلات المتوكل مع قصر مدة خلافته .

(١) درمالس : بفتح الدال وسكون الراء وكسر اللام .

ومن شعره قوله في عتاب صديقه علي(١) بن يحيى المنجم :

من عذيري من أبي حسن حين يجفوني ويصرمني
كان لي خلاً وكنت له كامتزاج الروح بالبدن
فوشى واش فغيره وعليه كان يحسدني
انما يزداد معرفة بودادي حين يفقدني

(١) هو نديم المتوكل وامين سره محبوب لديه متقدم عنده ذو علم ودراية وادب وفضل عرف بميله الى الأدباء والشعراء والاحسان اليهم ، بقي في كنف الخلفاء حتى ايام المعتمد على الله فتوفي ودفن بسر من رأى سنة ٢٧٥ هـ .

دير قُنّى

•

يقع هذا الدير في الجانب الشرقي من دجلة على ستة عشر فرسخاً من بغداد جنوباً ، ويبعد عن دجلة ميلا ونصف ميل ، ويقرب منه دير العاقول .

ويخيل للقادم عليه انه حصن من الحصون الحربية المشهورة في ذلك الوقت لا دير للتبتل والعبادة ، وكان محاطاً بسور عظيم محكم البناء ، ويعد هذا الدير من الأديار الكبيرة العامرة ، فقلا ليه (١) تبلغ المئة ، وحدائقه وبساتينه مترامية الى مسافة بعيدة عنه ، وكانت متعة الناظر ، ورغيبة الزائر ، فيها من اصناف الفواكه وأنواع الزهور مالاعين رأت ولا اذن سمعت وحسب المرء معرفة انها تسقى بماء النهروان .

(١) القلالي : ج قلاية بكسر القاف وتخفيف اللام وهي بناء في أعلى الدير تشبه المنارة يتخذها الراهب لساعات انفراده وبابها في الغالب داخلي .

لقد تبارى كثير من الشعراء في وصف هذا الدير، ومما قاله فيه أبو علي محمد بن الحسن القمي هذه الأرجوزة :

يا منزل اللهو بدير قنى (١) قلبي الى تلك الربى قد حنا
سقياً لأيامك لما كنا نمتار (٢) فيك لذة وحسنا
أيام لا أنعم عيش منا اذا انتشينا (٣) وصحونا عدنا
وإن فنى دن بزلنا دنا حتى يظن اننا جننا (٤)
ومسعدٍ في كل ما أردنا يحكي لنا الغصن الرطيب اللدنا
أحسن خلق الله أدى لحنا وجس زير عوده وغنى (٥)
يا منية القلب اذا تمنى فتكت بالصب بك المعنى
ثم قلبت في الهوى المجنا (٦) عذبته بالحب فناً فنا
وصارت الأرض عليه سجنا فما يلاقي الجفن منه الجفنا
أفديك لم تهجره صباً مضنى قد كان من غدرك مطمئنا
أسأت اذ أحسنت فيك الظنا وصار قلبي في يديك رهنا

---

(١) قنى : بضم الأول وتشديد الثاني .
(٢) نمتار : نتزود .
(٣) انتشينا: سكرنا .
(٤) بزل الدن ونحوه : لقبه وأسال الخمر منه .
(٥) الزير : مادق من الأوتار .
(٦) المجن : الترس ، قلب لي ظهر المجن : تنكر لي وتحول عني .

كان أبو علي يلقب بالكاتب لجمال خطه وقوة أسلوبه في الكتابة والانشاء ، وكان ذا نوادر ودعابات ، يحتل الصدارة بين أدباء البصرة وظرفائها ، كثير الاصعاد الى مدينة السلام ، واذا ما أصعد اليها لقي من ادبائها وشعرائها التكريم والاعزاز ، ساهم بنصيب محمود في الأدب ، فصنف فيه كتباً كثيرة ، ومن مليح شعره قوله في جارية كان يتعشقها ويهيم فيها :

باتت عداك كما أبيت ولقي حسودك ما لقيتُ
يامن شقيت بحبه صل لا شقيت كما شقيت
لا خنت عهدك ما حييت ولا قطعت ولا نسيت
كن كيف شئت فانني أرعى ودادك ما بقيت

وله : ـ

اذا تمنع صبري وضاق بالهجر صدري
ناديت والليل داج وقد خلوت بفكري
يارب هب لي منه وصال يوم بعمري

دير الروم

•

كان موقع هذا الدير في الجانب الشرقي من بغداد، وهوخاص للنسطورية (١) وتجاوره بيعة لليعقوبية (٢) والأصل في تسميته بدير الروم أن أسرى من الروم جيء بهم الى المهدي وأسكنوا في هذا الموقع داراً عرفت فيما بعد بهم ، فكان يقال لها دار الروم وبني الدير مجاوراً لها ،فأضيف الى اللفظة نفسها ، وسمي دير الروم ، وكان هذا الدير كسائر الديرة المجاورةلدار السلام متنزهاً جذاباً لجمال موقعه وحسن بنائه وكثرة أشجاره وأزهاره ، وكان له نصيب كبير من بطالة الشعراء المتطرحين واعلام العبث والمجون ، فافتتنوا بمحاسنه ، واطنبوا ماوسعهم الاطناب في وصفه ووصف غزلانه ،وكان اكثرهم ذكراً له الشيخ مدرك بن علي الشيباني الذي لم يتخلف عن زيارته في

(١) النسطورية : طائفة من الطوائف المسيحية .
(٢) اليعقوبية : طائفة من الطوائف المسيحية

عيد أو أحد ، ومما قاله فيه :

وجوه بدير الروم قد سلبت عقلي
فأصبحت في خبل (١) شديد من الخبل
فكم من غزال قد سبى العقل لحظه
ومن ظبية رامت بالحاظها قتلي
وكم قد (٢) من قلب بقد (٣) وكم بكت
عيون لما تلقى من الأعين النجل (٤)
بدور وأغصان غنينا بحسنها
عن البدر في الاشراق والغصن في الشكل
فلم تر عيني منظراً قط مثلهم
ولم تر عيني مستهاماً بهم مثلي
اذا رمت أن أسلو أبى الشوق والهوى
كذاك الهوى يغري المحب ولا يسلي

كانت ولادة مدرك الشيباني في بادية البصرة ، ولما ترعرع

---

(١) الخبل : بفتح فسكون الفتنة .
(٢) قد : قطع ، مبني للمجهول .
(٣) القد : القوام .
(٤) النجل : الواسعة .

تركها ، ودخل بغداد ، وطلب الأدب واللغة ، فبرز فيهما ، وقال الشعر فأجاده ، وكانت له حلقة تدريس يجتمع اليه فيها كثير من الأحداث ، يأخذون عنه الأدب ،واللغة، والشعر .وممن كان يقصده عمرو بن يوحنا أحد رهبان دير الروم ، وكان جميلاً حسن العينين ، فهام فيه الشيخ وتعلق به ، وكاشفه بحبه ، فانقطع عمرو عن حضور الحلقة ، فعظم انقطاعه على الشيخ ، وكابد الاهوال من هجره (١) ثم انه فض مجلس التدريس ، ولزم دير الروم ، وجعل يتبعه حيث سار ،وقال فيه شعراً كثيراً حتى أصابه وسواس أذهب عقله،واعتل فلزم فراشه ، ويقول المؤرخون ان جماعة من اصدقائه عادوه في آخر يوم من حياته فطلب منهم رؤية عمرو فخرجوا الى عمرو وألحوا عليه للانطلاق معهم إليه ، فلبى الطلب عمرو وقصده ، ولما دخلوا عليه ، انتفض لرؤيته ، وقال فيه ابياتاً مؤثرة شهق بعدها شهقة وفارق الحياة ، ومن اشعاره فيه قصيدته المزدوجة التي يقول فيها :

الى غزال من بني النصارى عذار خديه سبى العذارى
وغادر الأسد به حيارى في ربقة الحب له أسارى (٢)

---

(١) انظر معجم الأدباء ج ١٩ ص ١٣٥ .
(٢) الربقة : العروة في الحبل.

ريم بدير الروم رام قتلي بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرة بها استطار عقلي وحسن وجه وقبيح فعل (١)
ما ابصر الناس جميعاً بدرا ولا رأوا شمساً وغصناً نضرا
أحسن من عمرو فديت عمرا ظبي بعينيه سقاني خمرا
يا ليتني كنت له صليباً اكون منه أبداً قريبا
ابصر حسناً وأشم طيبا لا واشياً اخشى ولا رقيبا
يا ليتني كنت له قربانا الثم منه الثغر والبنانا (٢)
او جاثليقاً (٣) كنت او مطرانا (٤)
كيما يرى الطاعة لي ايمانا
ياليتني كنت لعمرو مصحفا (٥) يقرأ مني كل يوم أحرفا
أو قلماً يكتب بي ما ألقا من أدب مستحسن قد صنفا
يا ليتني كنت له زنارا (٦) يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا صرت له حينئذ إزارا

---

(١) الطرة شعر مقدم الرأس .
(٢) القربان : ما يتقرب به الى الله .
(٣) الجاثليق : رئيس الاساقفة .
(٤) المطران : رئيس الكهنة .
(٥) مصحف مثلث الميم .
(٦) الزنار : مايشد على الوسط .

يا عمرو ناشدتك بالمسيح الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح باح بما يلقى من التبريح (١)
يا عمرو بالحق من اللاهوت (٢)
والروح روح القدس (٣) والناسوت (٤)
ذاك الذي في مهده المنحوت
عوض بالنطق عن السكوت (٥)

والقصيدة طويلة وهي مع قصتها ان تدل على شيء فانما تدل على ماوصلت اليه الاخلاق في ذلك العصر ، ولا جرم ان اختلاط العرب بالفرس قد لوثهم بما كانوا في منجى منه ، ورغم مافيها من غزل مخجل فقد جاءت مليئة بالاصطلاحات اللاهوتية التي تدل على فهم الشيخ مدرك للتعاليم المسيحية ، وقد اقتصرت على هذا القدر منها حذر الاطالة والاسهاب ...

---

(١) التبريح : الشدة .
(٢) اللاهوت : الألوهة .
(٣) الروح القدس : الاقنوم الثالث .
(٤) الناسوت : الطبيعة الانسانية .
(٥) يشير الى عيسى بن مريم عليه السلام .

دير سابُر (١)

•

كان هذا الدير بين المزرفة (٢) والصالحية (٣) قرب بغداد في الجانب الغربي من دجلة ، وكان محله بمثابة متنزه للخلفاء ، بل موطن من مواطن القصف (٤) والنزف (٥) يؤمه أهل التطرب ويقصده أسارى الصهباء وحاناته كثيرة ، والخمرة فيه مشهورة بالجودة ، والبساتين في هذا المحل من أسباب جماله وجلاله ، والفواكه والكروم تكاد تكون من مغرياته وداوعي الاتجاه اليه .

أما الدير فقد كان حظه مستمداً من حسن المحل ونزهته ،

---

(١) سابر : بضم الباء الموحدة .
(٢) المزرفة : بفتح فسكون ففتح قرية ذات بساتين وكروم قرب بغداد
(٣) الصالحية : قرية مجاورة للكرخ .
(٤) القصف : الأكل والشرب واللهو .
(٥) النزف : السكر .

ولذلك كثر قاصدوه ، والمتطرحون [١] فيه ، وقربه من بغداد جعله مقصفاً للعصبة النواسية ، ولمن نهج نهج هذه العصبة من الخلفاء ذوي العلم والأدب والمجون ، ومما لايدع مجالاً للشك أن الشعراء قد تغنت بمحاسن هذا الدير واكثرت من التفنن في وصفه؛ غير أن مختصراً كهذا لايمكن أن يستوعب كل ماجاء فيه ، وكفاه تعريضاً قول الحسين بن الضحاك :

وعواتق [٢] باشرت بين حدائق
ففضضتهن وقد غنين صحاحا
اتبعت وخزة تلك وخزة هذه
حتى شربت دماءهن قراحا
في دير « سابر » والصباح يلوح لي
فجمعت بدراً والصباح وراحا
ومنعم نازعت فضل وشاحه [٣]
وكسوته من ساعدي وشاحاً
ترك الغيور يعض جلدة زنده
وأمال أعطافاً علي ملاحا

(١) المتطرحون العاكفون على اللذات .
(٢) يقصد آنية الخمر .
(٣) الوشاح : نسيج خاص يلقى على المنكب بعد ان يدخل تحت الابط

ففعلت ما فعل المشوق بليلة
عادت لذاذتها علي صباحا
فاذهب بظنك كيف شئت وكله
مما اقترفت تغطرساً وجماحا (١)

ولد أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر المعروف بالخليع سنة ١٦٢ هـ بالبصرة وهو خراساني الأصل من موالي ولد سلمان بن ربيعة الباهلي . درس في جامع البصرة حتى حذق اللغة وقال الشعر، وهو في سن مبكرة ، وكان يحمل روحاً خفيفة ماجنة وطبعاً مواتياً للتفنن في ضروب الشعر ، واتصل وهو في العقد الرابع بمحمد الأمين، ونادمه ، وسعد بالعيش في كنفه ، ولما قتل رثاه بأشجى المراثي وأسرف في ذم المأمون ، والتشهير بفعلته ، فأقصاه المأمون عنه ، ولم يسمع له مديحاً مدة ، وقد أخذ عليه قوله من قصيدة :

ومما شجا قلبي وكفكف عبرتي محارم من آل النبي استحلت
ومهتوكة بالخلد (٢) عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدت
وسرب ظباء من ذوابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يداً مني اذا ما ذكرته على كبد حري وقلب مفتت

(١) الجماح : ركوب الهوى والانقياد للعاطفة ، والتغطرس التبختر .
(٢) الخلد : او قصر الخلد مقر هرون الرشيد كان يفضله على قصر الخلافة قصر الذهب .

وقوله من أخرى :

الله يعلم أن لي كبداً حري عليك ومقلة تكف
ولئن شجيت لما رزئت به اني لأضمر فوق ما أصف
هلا بقيت لسد فاقتنا أبداً وكان لغيرك التلف

هتكوا لحرمتك التي هتكت
حرم الرسول ودونها السجف

هيهات بعدك أن يدوم لنا عز وأن يبقى لنا شرف
أفبعد عهد الله تقتله والقتل بعد أمانة سرف (١)
فستعرفون غداً بعاقبة عز الاله فأوردوا وقفوا

وقال بعض المؤرخين انه بقي مدة لايصدق بقتل الأمين ، ولم يرثه إلا بعد أن حل به القنوط ويئس من رجوعه .

وكانت صلة الحسين الخليع بالحسن (٢) الماجن قوية ، وتوطدت في عهد الأمين على مجالسه الزاهرة ، وبينهما من الحكايات والنوادر شيء كثير ، وكان الأديبان فرسي رهان ، وفارسي ميدان ، في الخلاعة والدعارة والاستهتار ، ولذا لقب الحسين بالخليع .

---

(١) يشير الى غدر طاهر بن الحسين بالأمين بعد أن أعطى عهداً بألا يمس بسوء .

(٢) أبو نواس الحسن بن هانىء احد شعراء العصر العباسي الأول.

وقد ذهب بعض المؤرخين ـ وليس ما ذهبوا إليه في شيء ـ إلى أن الحسن بن هانىء كان كلاً في اوصافه المجونية على أشعار الخليع وانه كان يسطو على قصيدة برمتها فيمسخها مسخاً ، ويقيم على أنقاضها قصيدة ينسبها الى نفسه .

وبقي الحسين منادماً للخلفاء حتى توفي أيام المستعين بالله سنة ٢٥٠ هـ . ومن رقيق شعره قوله من قصيدة يمتدح بها المعتصم :

هلا سألت تلدد (١) المشتاق ... ومننت قبل فراقه بتلاق
ان الرقيب ليستريب تنفس الصـ ... ـعدا اليك وظاهر الاقلاق
ولئن أربت (٢) لقد نظرت بمقلة ... عبرى عليك سخينة الآماق (٣)
نفسي الفداء لخائف مترقب ... جعل الوداع اشارة بعناق
اذ لا جواب لمفحم متحير ... الا الدموع تصان بالاطراق

الى ان قال :

خير الوفود مبشر بخلافة ... خصت ببهجتها أبا اسحق (٤)
وافته في الشهر الحرام سليمة ... من كل مشكلة وكل شقاق

---

(١) التلدد : التحير .
(٢) أربت : وقعت من الخور .
(٣) الآماق : مجاري الدمع .
(٤) كنية المعتصم .

أعطته صفقتها الضمائر طاعة ... قبل الأكف بأوكد الميثاق
سكن الانام الى امام سلامة ... عف الضمير مهذب الاخلاق
فحمى رعيته وذافع دونها ... وأجار مملقها من الاملاق (١)

ومن قصيدة يمتدح بها الواثق حين ولي الخلافة :

اكتم (٢) وجدي فما ينكتم ... بمن لو شكوت اليه رحم
واني على حسن ظني به ... لأحذر ان بحت ان يحتشم (٣)
ولي عند لحظته روعة ... تحقق ما ظنه المتهم
وقد علم الناس اني له ... محب واحسبه قد علم
وانى لمغض على لوعة ... من الشوق في كبدي تضطرم
عشية ودعت عن مدمع ... سفوح وزفرة قلب سدم (٤)

وله يتغزل :

وصف البدر حسن وجهك حتى
خلت اني - وما أراك - أراكا

---

(١) الاملاق : الفقر والعوز .
(٢) اكتم : بتشديد التاء أخفي .
(٣) يحتشم : يغضب .
(٤) سدم : حزين أو كئيب .

واذا ما تنفس النرجس الغض « م »

توهمته نسيم شذاكا

وأخال الذي لثمت أنيسي وجليسي ما باشرته يداكا

فاذا ما لثمت لثمك فيه فكأني بذاك قبلت فاكا

خدع للمنى تعللني فيك « م » باشراق ذا ونفحة ذاكا

لاقيمن ما حييت على الشكـ ـر لهذا وذاك اذ حكياكا

دير الثعالب

•

يقع هذا الدير بالكرخ في المحل المعروف بباب الحديد ، وهذا المحل من أطيب المحلات هواء ، واعذبها ماء ، واكثرها اشجاراً وازهاراً وأطياراً ، ولم يكن له شبيه سوى الغوطة او شعب بوان ، والكرخ في ذلك الوقت جنة من جنان الارض(١) تتخللها الانهار الصغيرة كنهر كرخايا ، ونهر عيسى ، ونهر الدجاج ، والمحول الكبير والمحول الصغير ، والصراة ، وغيرها من الأنهار ، وتضفي عليها من يمن الطبيعة ، وجلالها ما تعجز عن وصفه الاقلام ، وقد حظي الدير لوقوعه في هذا المحل السعيد بالقاصدين والمتنزهين وعيده لا يتخلف عن حضوره احد من آل بغداد ، وكان باب الحديد عامراً في كل

---

(١) قال الشاعر :

يهيم بذكر الكرخ قلبي صبابة وما هو إلا حب من حل بالكرخ
ونست ابالي بالردى بعد فقدهم وهل يجزع المذبوح من ألم السلخ

وقت بأرباب البطالات وذوي اللهو واللذاذات ، وكان نصيب الدير من هؤلاء كبيراً .

أما الشعراء فقد لهجوا بذكر باب الحديد ، ومتنزهاته ، ودير الثعالب وغزلانه وقد زاره سبط ابن التعاويذي في أحد أعياده ؛ فرأى شماساً وسيما فقال فيه :

وغزال علقته يوم دير الثعالب
من ظباء الصريم يخ طر في زي راهب
كالقضيب الرطيب يوهيه حمل الذوائب
شد زناره فحل « م » عقود المذاهب
ما رمى طرفه بسهم هوى غير صائب
بت من حبه على مثل شوك العقارب

كانت ولادة أبي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبدالله الكاتب (١) المعروف بابن التعاويذي سنة ٥١٩ هـ ببغداد، وقد كفله جده لامه ابي محمد المبارك بن المبارك السراج الزاهد المعروف بابن التعاويذي (٢) ولذا نسب اليه؛ فأولاه جده عطفاً ورعاية وعناية وخرجه شاعر زمانه وأديب أهل وقته ؛ فتقلد الكتابة بديوان المقاطعات ببغداد .

---

(١) كان ابوه مولى لبني المظفر واسمه تشتكين فسماه ولده عبيد الله .
(٢) نسبة الى التعاويذ وهي الحروز .

والكتابة من أشرف المناصب واخطرها في ذلك العهد ، وبقي فيه حتى كف بصره فأجري له راتب بعد اعتزاله الخدمة (١) ، فكان يقبضه الى ان توفي سنة ٥٨٤ هـ وكانت وفاته ببغداد .

وديوان أبي الفتح مطبوع متداول ، وقد رتبه وبوبه قبل أن يكف بصره ؛ وشعره يمتاز بجزالة اللفظ وعذوبته ، ورقة المعنى وسموه.

ومن لطيف شعره قصيدة طويلة يمتدح بها المستضيء بأمر الله ويذكر فيها ما يسره الله له من الفتوح ، أقتطف منها قوله :

ضحكت من عطائك الأنواء ... وتجلت بنورك الظلماء
واستجابت لك الممالك اذعا ... نا وفيها على سواك إباء
اصبحت في يديك وانقطعت طمـ ... ـعاً عليك القلوب والاهواء
نسخ العدل في خلافتك الجو ... ر كما ينسخ الظلام الضياء
وأهنت المال العزيز على غيرك ... حتى استوى الثرى والثراء
ورميت الأعداء منك بخطب ... فادح لا تطيقه الاعداء
وكشفت الغماء عن موطن لو ... لاك فيه لم تكشف الغماء
وأطاعتك أرض مصر ومصر ... حين تدعى وحشية عصماء
واستقادت بعد الشماس وقد أسـ ... ـعها بالعراق منك النداء (٢)

---

(١) وهذا يدل على ان نظام التقاعد كان معروفاً لدى العرب .
(٢) الشماس : الامتناع والاباء .

ملكتها يداك والله يؤتي ملكه من عباده من يشاء
وقضى الله في زمانك أن يخ رج منها ملوكها العظماء
يا إماماً أغنت علاه عن الاث مار طه والنمل والشعراء (١)
مدحته السبع المثاني فما تبـ لغ غايات مدحه البلغاء
أنت فليرغم العدى حجة الا ه ، وانت المحجة البيضاء
وأبوك الذي بدعوته في الـ محل درت على البلاد السماء
هو خير الانام بعد رسول الله «م» أفتت بذلك الفقهاء
لا يعد الفخار والشرف البا ذخ الا لقومكم والعلاء
لكم المحتد المقدس والمجـ د القدامى والعزة القعساء (٢)
انتم عترة النبي وأنتم وارثوه وآله الرحماء
انتم القائمون لله بالأمـ ر وأنتم في خلقه الأمناء
انتم في الدنيا هداة وفي الأخ رى لمن ضل سعيه شفعاء
كان فتحاً للمستضيء بأمر الله «م» فيه دون الانام ابتلاء
ملك تخضع الوجوه اذا أشـ رق من نور وجهه لألاء
هاشمي على محياه من هد ي النبي ابن عمه سيماء (٣)

---

(١) سور من سور القرآن الكريم .
(٢) المحتد : الأصل ، والقعساء : المنيعة العالية .
(٣) السيماء : العلامة .

ليس إلا لله أو لأمير ال مؤمنين العلو والكبرياء
كيف تلوى كتيبة لبني العـ باس آل النبي فيها لواء (١)
أقسم النصر لا يفارق جيشاً لهم فيه راية سوداء
و يميناً لتملكن وشيكاً ما أظلته تحتها الخضراء
لست ممن يخشى عدواً ولا تنـ أى عليه مسافة عدواء
كل يوم انضواء ركب على با بك منهم ركائب انضواء
ووفود على وفود أبادت عيسهم في رجائك البيداء
رسلاً للملوك ما ملكت أمـ راً عليها من قبلك الأمراء
تتنافى اللغات والدين والاخـ لاق منهم والزي والأسماء
الفتهم مع التباعد نعما ؤك حتى كأنهم خلطاء (٢)
نزلوا من جنابك الرحب في جنـ ة عدن تظلها النعماء
يتلاقون بالتحية والاكـ رام لا بغضة ولا شحناء (٣)
فاذا فارقوا بلادك ظنوا أنهم في بلادهم غرباء
سنة في السماح ما سنها للـ ناس إلا آباؤك الكرماء
فابق يا صاحب الزمان فأيا مك في مثلها يطيب البقاء

---

(١) تلوى : تهزم .
(٢) الخلطاء : المشتركون في الأمور .
(٣) الشحناء : العداوة

آمراً يقتضي أوامرك الده ر ويجري بما تشاء القضاء
في نعيم لايعتريه زوال وسرور لا يقتضيه انقضاء
أنت أعلى من أن نهنيك قدراً لليالي إذا سلمت الهناء !
واستمعها عذراء ما مدحت قبـ ـلك يومـاً بمثلها الخلفـاء
خرة محضة وما زالت الأشـ ـعار منها لقائط وإماء (١)

وكانت بينه وبين العماد الاصبهاني مودة لما كان العماد بالعراق ، وعندما انتقل الى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب إليه ابن التعاويذي رسالة وقصيدة يستهديه بهما فروة . اقتطف من القصيدة ما يأتي :

بأبي من ذبت في الحب له شوقاً وصبوه
كلما زاد جفاءً زاد من قلبي حظوة
شقوتي ما تنقضي في حبه والحب شقوه
بحت شجواً فيه والحـ ـزون لا يكتم شجوه
يا مليح الدل زد جو راً على الحب وقسوه (٢)
لي بمن مات بداء الـ ـعشق في حبك اسوه (٣)

---

(١) محضة : خالصة صريحة .
(٢) الدل : التغنج .
(٣) أسوة : قدوة .

لا اتاح الله لي وصـ ـلك ان اضمرت سلوه
قسماً ان عماد الدي ـن في الاجواد قدوه
جمع السؤدد اخلاقاً ونفساً وأبـوه
وسما من مجده البا ذخ في أرفع ذروه (١)
وشأى حاتم في الجو د سخاءً ومروه (٢)
فهو لا تجذب عطفيـ ـه لغير الحمد نشوه
خالص الود ووود النـ ـاس ممذوق مموه (٣)
سيد لكنه يعـ ـتدنا في الود اخوه
يا جواداً ما رأى قط له الحساد كبوه
وبليغاً أخرست أفـ ـلامه كل مفوه (٤)
لم يحل عهدك ما أوتيت من حال وثروه
يا أتم الناس جوداً وحيـاءً وفتـوه
ان بغداد التي لا نجل أمست دار دعوه
قد أقام الثلج فيها شتوة من بعد شتوه
فهو يغزونا مساءً في نواحيها وغدوه

(١) الذروة : أعلى كل شيء .
(٢) شأى : سبق وفاز .
(٣) ممذوق : ممزوج .
(٤) المفوه : البليغ الكلام .

فافر عن جسمي أذاه يا أخا الجود بفروه
فروة تكسبني حو لاً على البرد وقوه (١)
فروة تصلح أن يه دبها مثلك كسوه
اكتسي منها جمالاً رائعاً في كل ندوه (٢)
ففرا جلق عند النـ اس في بغداد شهوه (٣)
تعتلق كفك من شكـ ري لها أوثق عروه (٤)
فالكريم الخيم من وجـ هت الآمال نحوه (٥)

وقال يستهدي شراباً من صديق له نصراني :

ياصديقي مسعود حقاً وما كل صديق دعوته بصديق
قد أحاطت بي الهموم وما احـ سب أني مـن دأبها بمفيق
وشفائي في نشوة تذر الأحـ زان عني من سلسبيل رحيق
أم لهو كأن يا قوتة في الـ كأس منها علت بمسك فتيق
من عتاد الرهبان لم يخل عمر الد هر منها قلاية الجثليق
مذهب القس مذهبي في صبوح أنا فيها مغرى بـه وغبوق

---

(١) الفروة : كساء يتخذ من أوبار الابل .
(٢) الندوة : المجلس .
(٣) جلق : من اسماء دمشق
(٤) تعتلق مجزوم لوقوعه في جواب الأمر « افر » .
(٥) الخيم : الأصل او السجية .

فأرحني من شاغل الهم واعتق منه رقي بدن خمر عتيق
لا ألمت بك الهموم ولا زا ت سميراً للكأس والابريق

وله من قصيدة يمتدح بها الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة :

سقاها الحيا من أربع وطلول حكت دنفي من بعدهم ونحولي
ضمنت لها أجفان عين قريحة من الدمع مدرار الشؤون هموم
لئن حال رسم الدار عما عهدته فعهد الهوى في القلب غير محيل
خليلي قد هاج الغرام وشاقني سنا بارق بالاجرع عين كليل
ووكل طرفي بالسهاد تنظري قضاء ملي بالديون مطول
اذا قلت قد أنحلت جسمي صبابة تقول وهل حب بغير نحول

وان قلت دمعي بالأسى فيك شاهدى
تقول شهود الدمع غير عدول

فلا تعذلاني ان بكيب صبابة على ناقض عهد الوفاء ملول
فأبرح ما يبلى به الصب في الهوى ملال حبيب أو ملام عذول
ودون الكثيب الفرد بيض عقائل لعبن بألباب لنا وعقول
غداة التقت الحاظها وقلوبنا فلم تجل الا عن دم وقتيل
الا حبذا وادي الأراك وقد وشت برياك ريحا شمأل وقبول
وفي ابرديه كل ما اعتلت الصبا شفاء فؤاد بالغرام عليل
دعوت سلواً فيك غير مساعدي وحاولت صبراً عنك غير جميل

تعرفت أسباب الهوى وحملته على كاهل للنائبات حمول
فلم احظ في حب الغواني بطائل سوى رعي ليل بالغرام طويل
الى كم تمنيني الليالي بماجد رزين وقار الحلم غير عجول
أهز اختيالاً في هواه معاطفي وأسحب تيهاً في نداه ذيولي
لقد طال عهدي بالنوال وانني لصب الى تقبيل كف منيل
وان ندى يحيى الوزير لكافل بها لي وعون الدين خير كفيل
هو المرء لا ينفك صدر وسادة لفصل القضايا أو امام رعيل
جواد يبيت الوفد حول فنائه باكرم مثوى عنده ومقيل
أشمّ هبيري المناسب يعتزي الى خير بيت في اعز قبيل

دير الجاثليق

•

يقع دير الجاثليق (١) قرب باب الحديد في الجانب الغربي من بغداد ، وهو لا يبعد كثيراً عن دير الثعالب ، ويشاركه في الموقع ، وكان مكتنفاً بالبساتين مليئاً بالرياحين ، وقد سبق الكلام عن باب الحديد في « دير الثعالب » أما صاحب المسالك فقد قال عنه انه يقع في عرض حربى (٢) على الحد بين آخر السواد ، وبين أول أرض تكريت (٣) ويستشهد ببيتين لابن قيس الرقيات في حرب عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير وهما :

لقد أورث المصرين حزناً وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما قاتلت في الله بكر بن وائل ولا صدقت عند اللقاء تميم

---

(١) الجاثليق او الجثليق : متقدم الأساقفة .

(٢) حربى : بفتح الأول قرية في اقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة كانت مشهورة بنسج الثياب .

(٣) مسالك الابصار للعمري ص ٣٠٨ .

والشابشتي يقول : « وهذا الدير بقرب من باب الحديد ، وهو يوازي دير الثعالب في النزهة والطيب وعمارة الموضع لانهما في بقعة واحدة » وقد يوحي هذا الاختلاف الى الفهم ان هناك ديرين بهذا الاسم احدهما في المكان الذي حدده صاحب المسالك ، والثاني قرب باب الحديد ببغداد ، وسواء أكان هذا الاسم لديرين مختلفين ام لدير واحد ، فان المهم ان نعلم ان دير الجاثليق كان من ديارات بغداد العامرة ، مقصوداً في المواسم والأعياد لطيب مكانه وجمال غزلانه ، وقد اورد محمد بن أبي أمية الكاتب أبياتاً فيه تدل على ما كان يحويه من الجمال والأنس وهي قوله :

تذكرت دير الجاثليق وفتية
بهم تم لي فيه السرور وأسعفا
بهم طابت الدنيا وأدركني المنى
وسالمني صرف الزمان واتحفا
الا رب يوم قد نعمت بظله
أبادر من لذات عيشيَ ما صفا
اغازل فيه ادعج الطرف أغيداً
وأسقى به مسكية الريح قرقفا(١)

(١) القرقف : اسم من أسماء الخمرة .

فسقياً لأيام مضت لي بقربهم
لقد أوسعتني رأفةً وتعطفا (١)
وتعساً لأيام رمتني ببينهم
ودهر تقاضاني الذي كان أسلفا (٢)

وقد كان محمد بن أمية بن ابي أمية من ندماء ابراهيم بن المهدي ، وكان أبوه كاتباً للمهدي على بيت المال ، مقرباً لديه لأدبه وفضله واخلاصه لبني العباس . نشأ محمد كاتبا شاعراً أديباً ، حسن الخط وتعلق في شبابه جارية مغنية تدعى خداعاً كانت تسكن شارع الميدان ببغداد ، واكثر من ذكرها في شعره ، وكان حبه لها حباً صادقا وفيها قال :

بناحية الميدان درب لو انني أسميه لم ارشد وان كان مفسدي
أخاف على سكانه قول حاسد يشير اليهم بالجفون وباليد
وصائف أبكار وعين نواطق
بألسنة تشفي جوى الهائم الصدي (٣)

---

(١) سقياً : مفعول مطلق للدعاء .
(٢) تقاضاني : اخذ مني .
(٣) الوصائف : ج وصيفة وهي من كانت سنها بين العاشرة والثالثة عشرة ، والعين بقر الوحش .

يقاربن أهل الود بالقول في الهوى
وما النجم من معروفهن بأبعد
يزدن أخا الدنيا مجوناً وفتنة
ويشغفن قلب الناسك المتعبد
وليلة وافى النوم طيف سرى به
إلي الهوى منهن بعد تجدد
فقاسمته الاشجان نصفين بيننا
وأوردته من لوعة الحب موردي
ونلت الذي أملت بعد تمنع
وعاهدته عهد امرىء متأكد
فلما افترقنا خاس بالعهد بيننا
وأعرض اعراض العروس من الغد (١)
فواندما الا اكون ارتهنته
لأخبره في حفظ عهد وموعد

ومما يغنى من شعره في خداع :

احبك حباً لو يفيض يسيره
على الخلق مات الخلق من شدة الحب

---

(١) خاس بالعهد : نكث وغدر

واعلم أني بعد ذاك مقصر
لأنك في أعلى المراتب من قلبي

وشبيه بهذين البيتين قول عمر بن أبي ربيعة :

حبكم يا آل سلمى قاتلي
ظهر الحب بجسمي وبطن !
ليس حب فوق ما احببتكم
غير أن أقتل نفسي أو أجن !

دَيْرُ مِدْيان

كان هذا الدير مطلاً على نهر كرخايا في الجانب الغربي من بغداد ، وكرخايا فرع من المحول الكبير يمر على العباسية ، ويقطع الكرخ بعد أن يسقي بساتينه ويصب في دجلة . قال عنه الشابشتي: «وهذا الدير حسن نزه حوله بساتين وعمارات ويقصد للتنزه والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة للنزهة » . وقد أورد الشابشتي وياقوت والعمري الأبيات الآتية منسوبة الى الخليع في هذا الدير :

حث المدام فان الكأس مترعة ... مما يهيج دواعي الشوق أحيانا

إني طربت لرهبان مجاوبة ... بالقدس بعد هدوء الليل رهبانا

فقلت والدمع في عيني مطرد ... والشوق يقدح في الاحشاء نيرانا

يا دير مديان (١) لا عريت من سكن

ما هجت من سقم يا دير مديانا

ايقظت لي شجنا مني ذكرت به كرخ العراق واخواناً وأشجانا

هل عند قسك من علم فيخبرني ام كيف يسعد وجه الصبر من بانا

سقياً ورعيا لكرخايا وساكنه بين الجنينة (٢) والروحاء من كانا

على اني لا اسلم للثلاثة بأن هذه الأبيات قالها ابن الضحاك في دير مديان والا كيف جاز للشاعر أن يدعو لدير مديان على ما هاج فيه من أسقام واشجان اذ كرته الكرخ وكرخايا والجنينة والروحاء ، ودير مديان كما أعرف ويعرف غيري في الكرخ فلا بد من ان يكون الشاعر قد ارتحل الى الشام ونزل في طريقه « دير مران » أحد أديار الشام فتشوق الى العراق وتذكر الكرخ وضواحيها وانهارها فقال :

يا دير مران لا عريت من سكن ماهجت من سقم يا دير مرانا (٣)

---

(١) مديان : بكسر الميم .

(٢) الجنينة : ضاحية من ضواحي الكرخ.

(٣) قال عنه ابن فضل الله العمري في مسالكه : « وهو بالقرب من دمشق على تل في سفح قاسيون وبناؤه بالجص الأبيض واكثر فرشه بالبلاط الملون وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني .

دير سمالو

•

موقع هذا الدير شرقي بغداد في باب الشماسية مما يلي البردان على نهر المهدي ، ونهر المهدي مشهور بكثرة نخيله واشجاره و بساتينه ، ويعد في ذلك العهد من اجمل متنزهات دار السلام ، وقد حظي الدير باحسن موقع عليه وابهج منظر من مناظر نباتاته ورياحينه .

ولهذا الدير روعة وجلال في عيد الفصح ؛ اذ يخرج اليه أهل بغداد فريق للتقرب والعبادة وفريق للقصف والمجانة ، وممن كان يقصده خالد بن يزيد الكاتب الذي قال فيه الأبيات :

يا منزل القصف في سمالو مالي عن طيبك انتقال
واهـاً لأيامك الخوالي والعيش صاف بها زلال

وكان ابو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب من معاصري ابي تمام وعلي بن الجهم وابي العيناء وجحظة البرمكي والحسين بن الضحاك

وغيرهم من شعراء ذلك العصر ، وهو خراساني الاصل بغـدادي المولد والمنشأ (١) ، وكان نفسه في الشعر قصيراً ، ويجيد في الغزل والوصف، ويقصر في المديح والهجاء :قضى شبابه مغموراً حتى اتصل بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات (٢) فولاه عملاً له قيمته ، وأدنى مقامه الأدبي من الخلافة فطرقت اشعاره الرقيقة ـ وجلها مقطعات غنائية ـ مسامع المغنين والمغنيات ، وهزت قلوب ابناء الملوك والوزراء فصيروها اصواتاً للغناء تعقد لها مجالس الأنس ويلذ عند سماعهـا اللهو والشراب ؛ فتدفقت الصلات اليه ، وتنافس على منادمته ذوو الحول والطول ، واول صلة وصله بها المعتصم خمسة آلاف درهم لقوله في سامراء قبل أن يتم بناؤها وقبل ان يقول فيها شاعر شيئاً :

عزم السرور على المقام بسر من را للامـام
بـلد المسرة والفتـو ح المستنيرات العظام
وتراه اشبه منزلاً في الأرض بالبلد الحرام
فالله يعمره بمن أضحى بـه عز الانام

---

(١) ترجم له ياقوت في الجزء الحادي عشر من معجم الأدباء ص ٥٢ وله ترجمة واخبار في الحادي والعشرين من الأغاني ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) هو وزير الواثق بالله كان يجمع الى الوزارة العلم والأدب والفضل وقد نكبه المتوكل على الله حينما آلت الخلافة اليه .

وكان علي بن المعتصم كثير الطرب لشعره ، قيل انه دعاه يوماً للمنادمة ، وبينما هما يشربان خرجت اليهما احدى الوصائف،وقدمت الى ابن المعتصم تفاحة مغلفة (١) بعثت بها اليه سيدتها فقال خالد في الحال :

تفاحة خرجت بالدر من فيها ... أشهى الي من الدنيا وما فيها
بيضاء في حمرة علت بغالية ... كأنما قطفت من خد مهديها (٢)
جاءت بها قينة من عند غانية ... روحي من السوء والمكروه يفديها
لو كنت ميتاً ونادتني بنغمتها ... اذن لا سرعت من لحدي ألبيها

ولم تشأ الأقدار أن يتم خالد رسالته الفنية فأصيب بالاختلاط وفقد رشده فخسر الشعر الغنائي بجنونه خسارة عظيمة ، وبكته الأعواد والطنابير قبل بكاء المغنين والمغنيات ، وتوفي سنة ٢٦٩ هـ ودفن ببغداد ومن شعره قوله :

اسقني في جرائر وزقاق ... لتلافي السرور يوم التلاق (٣)
من سلاف كأن في الكاس منه ... عبرات من مقلتي مشتاق
في رياض بسر من را الى الكر ... خ ودعني من سائر الآفاق

---

(١) مغلفة : مغشاة بأخلاط الطيب .
(٢) الغالية : أخلاط من الطيب .
(٣) الزقاق : اناء من جلد يتخذ لحفظ الخمرة وحمل الماء .

بادكارات كل فتح عظيم لامام الهدى ابي اسحق (١)

ومنه :

محب شفه ألمه وخامر جسمه سقمه
وباح بما يجمجمه من الاسرار مكتتمه (٢)
اما ترثي لمكتئب يحبك لحمه ودمه
يغار على قميصك حـ ين تلبسه ويتهمه

---

(١) ابو اسحق : كنية المعتصم

(٢) يجمجمه : يخفيه ويستره .

دير أشموني

•

بني هذا الدير في قطربل [١] غربي دجلة بين بغداد وعكبرا [٢] . وقطربل من أجمل القرى البغدادية موقعاً ، اذ انها كانت تركب كاهل دجلة [٣] وتحاذي الصراة [٤] الذي يفصل بينهـا

---

(١) قطربل : بالضم ثم السكون ثم الفتح ثم الضم مع التشديد قريـة بين بغداد وعكبرا بالجانب الغربي من دجلة .

(٢) عكبرا : بضم فسكون ففتح بلدة صغيرة مـن نواحي دجيـل قرب صريفين وأوانا على بعد عشرة فراسخ من بغداد .

(٣) مجلة الرسالة ع ٤٠٧ ص ١٤٤٧. بحث عن قطربل للأستاذ شكري محمود أحمد .

(٤) الصراة : بالفتح نهر من انهار الكرخ قال فيه الشاعر :

خليلي ما احلى صبوحي بدجلة ... واطيب منه بالصراة غبوقي
شربت على الماءين من ماء كرمة ... فكانا كـدر ذائب وعقيق
على قمري افق وارض تقابلا ... فمن شائق حلو الهوى ومشوق
فما زلت اسقيه واشرب ريقه ... وما زال يسقيني ويشرب ريقي
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى ... فقال نعم هذا أخي وشقيقي

وبين بادوريا هي في غربه وبادوريا في شرقه وقد عرفت في ذلك الحين بكثرة كرومها ، وطيب خمورها ، ونظافة حاناتها ، وكانت هذه القرية من دواعي شهرة الدير وولع أهل اللعب بمحاسنه،وكان للدير عيد عظيم في اليوم الثالث من تشرين الأول يخرج اليه الناس وهم أحسن ما يكونون زياً ويتباهون بما أعدوا لذلك اليوم من أسباب اللهو .

قال الشابشتي : « ويضرب لذوي البسطة منهم الخيم والفساطيط ، وتعزف عليهم القيان ، فيظل كل انسان منهم مشغولاً بأمره ، مكباً على لهوه » .

وكان الشعراء من اكثر الناس رغبة في التردد على هذا الدير ولا سيما في المواسم والأعياد ولجحظة فيه هذه الأبيات :

سقياً لأشموني ولذاتها والعيش فيما بين جناتها
سقياً لأيام مضت لي بها ما بين شطيها وحاناتها
اذ اصطباحي في بساتينها واذ غبوقي في دياراتها

ولجحظة البرمكي شاعر مشهور تقدم الكلام عنه في دير العلث وله خبر أستحسن اثباته لعلاقته بالموضوع (١) قال : « خرجت في عيد اشمونى فلما وصلت الشط مددت عيني لانظر موضعاً خالياً

(١) مسالك الابصار ص ٢٧٨ .

اصعد اليه أو رجلاً انزل عليه فرأيت قينتين (١) من احسن من رأيت فقدمت سميريتي (٢) نحوهما وقلت تأذنون لي في الصعود اليكما فقالتا : بالرحب والسعة ، فصعدت وقلت يا غـلام طنبوري ونبيذي ، فقالتا اما الطنبور فنعم ، واما النبيذ فلا ، فجلست مـع أحسن الناس خلقاً واخلاقاً وعشرة ، فـأخذت الطنبور وغنيت بشعر لي :

سقياً لاشموني .... (الأبيات) .

---

(١) القينة : المغنية .

(٢) السميرية : قارب صغير يسميه العراقيون اليوم بلماً .

دير مار جرجس (١)

•

كان هذا الدير على الشاطىء الغربي لدجلة في قرية جميلة ذات بساتين وكروم تدعى المزرفة ، وقد سبق الكلام عنها ، وكان عامراً مقصوداً لقربه من بغداد وحسن موضعه وطيب موقعه يؤمه كثير من المتطربين و يوصلون فيه الليل بالنهار في أرغد عيش، وطالما سعد هذا الدير بتردد ابن المعتز عليه وزياراتـه له في ايام اللهـو وليالي السرور كما سعد باختلاف العصبة النواسية اليه .وللنميري في هذا الدير ابيات رقيقة منها :

نزلت بماري جرجس خير منزل ذكرت به ايام لهو مضين لي
تكنفنا فيـه السرور وحفنا فمن اسفل يأتي السرور ومن عل
وسالمت الايام فيه وساعفت وصارت صروف الدهر عنا بمعزل

(١) مار او ماري : سيد والكلمة سريانية ويقال للمؤنث مرت بضم الأول

يدير علينا الكأس ظبي مفرطق يحث بها كاساتها ليس يأتلي
فياعيش ما أصفى و ياهو دم لنا و ياوافد اللذات حييت فانزل

أما النميري فهو أبو الطيب القاسم بن محمد من شعراء الرقة والعذوبة (١) عاصر عبد الله بن المعتز ونادمه ولازمه ، وقد عرف بالفضل وطول الباع في الأدب كما عرف بخفة الروح والميل للنكتة والفكاهة .

كان عبد الله ابن المعتز لايطيق صبراً عن فراقه ، وتخلفه عن حضور مجالسه الخاصة وكثيراً ما جرت بينهما مناقضات لطيفة ومساجلات حلوة ومداعبات طيبة يضيق ذرعاً بها مختصر كهذا .

والنميري من رواد الديارات ، وطارقي المقاصف والحانات كثير الشرب كثير الانفاق في اللهو تساعفه نعمة موروثة ، وحال حسنة ، وروح ميالة الى القصف والنزف والتطرح والمجون . ومن رقيق شعره هذه الابيات وقد كتبها الى ابن المعتز :

يا أبا العباس قد شمر شعبان ازاره
ومضى يسعى فما يلحق انسان غباره
فاغد نشرب صفوة الدن ونسلبه وقاره (٢)

---

(١) ترجم له المرزباني في كتابه معجم الشعراء ص ٣٣٦ .
(٢) جزم الفعل (نشرب) لوقوعه في جواب الأمر وكذا (نسلبه)

وأراد النميري سفراً فكتب اليه ابو العباس (١) :

صبراً على الهموم والاحزان وفرقة الاصحاب والاخوان
فان هذا خلق الزمان

فأجابه ابو الطيب النميري :

ياسيد الكهول والشبان ان كنت ذا صبر عن الاخوان
فلم تشكى الم الاحزان لكنني كالواله الحيران (٢)
اشكو افتراقيك الى الرحمن (٣)

وله الى ابن المعتز :

اتيتك مسروراً فطاب لي الشرب ولاقت مناها عندك العين والقلب
فجارت علي الكاس حتى هجرتها ثلاثة ايام كما اوجب الذنب

فأجابه عبد الله :

ادام لك الله السرور ودام لي بك العيش والنعماء واتصل القرب
علام هجرت الكاس اذ جار حكمها
ولا لهو فيها ان يكون لها الذنب

---

(١) كنية ابن المعتز .
(٢) الواله : المتحير من الوجد .
(٣) افتراقيك : افتراقي لك .

دير قوطا

•

كان يقع دير قوطا بين بغداد والبردان على الشاطىء الشرقي لدجلة ، وهو الى البردان اقرب ، والبردان أطيب نواحي دجيل وتصلها ببغداد بساتين متتابعة قال الشابشتي : « وهذا الدير بها وهو يجمع احوالاً كثيرة منها عمارة البلد ، وكثرة فواكهه، ووجود جميع ما يحتاج اليه فيه ومنها أن الشراب هناك مبذول والحانات كثيرة ومنها ان في هذا الموضع ما يطلبه أهل البطاله والخلاعة من الوجوه الحسان والبقاع الطيبة النزهة » .

قلت : وقد خلف الشعراء في هذا الدير كثيراً من الشعر وأقام بعضهم فيه حتى صير الشماس صاحباً له والقس والداً وفي ذلك يقول ابن الربيع :

يادير قوطا لقد هيجت لي طربا أزاح عن قلبي الاحزان والكربا

كم ليلة فيك واصلت السرور بها
كما وصلت بها الأدوار والنخبا
في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا
وانفقوا في التصابي العرض والنشبا (١)
وشادن مارأت عيني له شبهاً
في الناس لاعجماً منهم ولا عربا (٢)

إذا بدا مقبلاً ناديت واطربا
وإن مضى معرضاً ناديت واحربا
أقمت في الدير حتى صار لي وطنا
من أجله ولبست المسح والصلبا (٣)
وصار شماسه لي صاحباً واخاً
وصار قسيسه لي والداً وأبا (٤)

وابن الربيع هذا هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع

---

(١) العرض : بكسر العين مايصونه المرء من نفسه او سلفه او من يلزمه أمره ، والنشب المال .
(٢) الشادن : ولد الظبية .
(٣) المسح : بكسر الميم كساء من شعر يلبس للتقشف ، والصلب: ج صليب
(٤) الشماس : من كان دون القسيس منزلة والكلمة سريانية .

نشأ ميالاً الى الغناء فتعلمه سراً ، وأجاده دون ان يعلم جده الفضل الذي كفله بعد وفاة ابيه العباس .وكان عبد الله شديد الحذر من ان يعرف امره حتى بلغت ألحانه مسامع الرشيد فسأل عن صانعها ؛ فباحت القينة بامره ، فدعا بجده وعاتبه لكتمانه أمر ولده فأقسم جده انه لايعرف من الأمر شيئاً ، وذهب الى بيته وهو يتميز من الغيظ ووبخ عبد الله لتعلمه الغناء وصنعه فيه ، فحلف عبد الله لجده الا يغني إلا لخليفة او ولي عهد فهدأت ثائرة جده، وركب به الى الرشيد وكان في مجلس أنس ، فهاب عبد الله المقام وتردد ، فنشطه اسحق الموصلي ، حتى غنى ، فطرب الرشيد واستعاده ثلاث مرات وامر له بعشرة آلاف دينار ، وثلاثين ثوباً من فاخر الثياب ، وبقي عبد الله يطرب الخلفاء والامراء حتى ايام الواثق بالله . واحب في شبابه نصرانية في دير المزرفة وبسببها ولج الديرة واكثر من الاختلاف اليها ، والشرب فيها ، والاصطباح احب اليه من غيره .

وكان محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق بالله يستحسن قول عبد الله بن العباس :

ومستطيل على الصهباء باكرها في فتية باصطباح الراح حذاق
فكل شيء رآه خاله قدحاً وكل شيء رآه خاله الساقي

وامتدحه ذات مرة وهو بمجلس الواثق لقوله :

ياشادنـاً رام اذ مـر
في السعانـين قتـلي (١)
يقول لي كيف اصبح
ت ؟ كيف يصبح مثلي ؟(٢)

وكان يكرمه ويجله و يفضله على الشعراء والمغنين .

---

(١) السعانين : عيد من أعياد النصارى ويوم الأحد الذي قبل الفصح وبعض الناس يلفظونه بالشين .

(٢) لم اجد شبهاً لهذين البيتين في الروعـة والجمـال الا قول مصطفى وهبي التل :

يا شيخ ! ما الاثم ؟ حسب المرء معرفة
أن الشفـاه الـتي بالسلـط لمـسـاء !

دير باشهرا

•

يقع هذا الدير بين بغداد وسامراء على نهر دجلة في موضع نزه كثير البساتين ، وكان لا يخلو من طارق وقاصد ، والذاهبون من بغداد الى سامراء ينزلونه ، وكذا العائدون من سامراء ؛ فيجدون فيه من حسن المعاملة وطيب الضيافة ما يحبب اليهم الاقامة . وكثيراً ما قصده المترفون ، وأرباب النعمة ؛ فأقاموا مع رهبانه في ألذ عيش وانفقوا بين جدرانه ما يحملون من المال ، وقد ورد ذكر هذا الدير في شعر كثير من الشعراء ، ولأبي العيناء فيه هذه الأبيات :

نزلنا دير باشهرا ... على قسيسه ظهرا

فأولى من جميل الف ... عل مايستعبد الحرا

وسقّانا وروّانا ... من الصافية العذرا

فطاب الوقت في الدي ... ر ورابطنا به عشرا

وأبو العيناء هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر المولود سنة ١٩١ هـ بالأهواز. وهو من موالي أبي جعفر المنصور ؛ نشأ بالبصرة وتلقى علومه فيها ، على يد أبي عبيدة الاصمعي والعتبي وغيرهم من كبار رجال العلم واللغة والأدب. كان سريع الحفظ ، قوي الذاكرة ، فصيح اللسان ، ذا بديهة حاضرة وذكاء عظيم ؛ لقب بأبي العيناء وهو في عهد التحصيل ، وله أخبار مشهورة ونوادر مستملحة وأشعار سلسة تمثل روحه الخفيفة اصدق تمثيل .

ولما بلغ الاربعين من العمر كف بصره ، وقصد بغداد ، واتصل بالكتاب والوزراء فلمع نجمه ، وطلبه المتوكل ، فدخل عليه وفاتشه فأعجب به ، وبعد انصرافه قال لولا انه ضرير لنادمناه ؛ فبلغت ابا العيناء ؛ فقال ان اعفاني من رؤية الأهلة وقراءة نقش الفصوص فأنا اصلح للمنادمة ، فاستظرف رده المتوكل ، فصار يقربه ويغدق عليه .

ومن نوادره انه خاصم علوياً فقال له العلوي : تخاصمني وأنت تقول كل يوم « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » فقال : لكني أقول الطيبين الطاهرين ولست منهم . وسار يوماً الى الوزير صاعد ابن مخلد فاستأذن عليه فقيل له : هو مشغول بالصلاة ، فقال لكل جديد لذة ، وكان صاعد حديث عهد بالاسلام .

قال له المتوكل يوماً : بلغني ان فيك شراً ؛ فقال يا أمير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله وذم ؛ فقال في التزكية « نعم العبد انه أواب » وقال في الذم : « هماز مشاء بنميم ، عُتُلّ بعد ذلك زنيم » وقال الشاعر :

اذا انا بالمعروف لم أثن دائباً
ولم اشتم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز ؛ فقد صان الله عبدك عن ذلك .

وكان بينه وبين علي بن الجهم [1] مداعبات ؛ فمن ذلك قوله في قصيدة لابن الجهم :

اراد علي ان يقول قصيدة بمدح امير المؤمنين فأذنا
فقلت له لا تعجلن باقامة فلست على طهر فقال ولا أنا

ومن طرفه ما رواه عن نفسه من أن امرأة عشقته في البصرة

---

(١) هو احد شعراء المتوكل عربي من قريش كان يتعصب على العلويين تقرباً من بني العباس ؛ ناهجاً نهج مروان بن أبي حفصة ، وقد نكب لسعايته بندماء المتوكل ونفي الى خراسان ، وصلب لهجائه المتوكل ، وتوالت عليه النكبات حتى توفي سنة ٢٤٩ هـ .

من غير ان تراه فلما رأته استقبحته فكتب اليها :

ونبئتها لما رأتني تنكرت وقالت دميم أحول ما له جسم

فان تنكري مني احولاً فانني

أديب أريب لا غبي ولا فدم

فوقعت في الرقعة : يا عاض بظر أمه لديوان الرسائل اردتك .

كانت وفاة ابي العيناء سنة ٢٨٣ هـ بالبصرة عن عمر أربى على التسعين .

دير عبدون

•

يعد دير عبدون من ديارات سامراء ؛ لانه مجاور للمطيرة ، والمطيرة قرية نزهة بين بغداد وسامراء ، وهي الى الثانية اقرب ، وان كانت متنزهاً للاثنتين معاً ، وسمي الدير دير عبدون ؛ لأن عبدون الراهب أخا صاعد بن مخلد كان كثير الالمام به والمقام فيه ، فنسب اليه (١) .

وللدير زروع كثيرة وبساتين نضرة تجذب من ينزله او يعرج عليه ، وكان عامراً برهبانه وطراقه وبمن يقصده من ارباب النعمة والثراء . وكان ابن المعتز شغوفا بمخالطة رهبانه ، وله ابيات رقيقة وهي قوله :

سقى المطيرةَ ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

---

(١) معجم البلدان ج ٤ .

يا طالما نبهتني للصبوح بـه في ظلمة الليل والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير في صلاتهم سود المدارع نعارين في السحر (١)

مزنرين على الأوساط قد جعلوا
على الرؤوس أكاليلاً من الشعر (٢)
كم فيهمو من مليح الوجـه مكتحل
بالسحر يطبق جفنيه على حور (٣)
لاحظته بالهوى حتى استقـاد له
طوعـا وأسلفني الميعـاد بالنظر
وجـاءني في ظلام الليل مستتراً
يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت افرش خـدي في التراب له
ذلاً وأسحب أذيالي على الأثر
فكان ما كان مما لست اذكره
فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

كانت ولادة أبي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن

---

(١) النعار : من صوت بخيشومه .
(٢) الزنار : ما يشد على الوسط وهو للرهبان خاصة .
(٣) الحور : سواد في العين مع سعة .

المعتصم بن هرون الرشيد سنة ٢٤٩ هـ ، ولما ترعرع تتلمذ على يد المبرد وثعلب ؛ فأخذ عنهما الأدب وعلوم العرب ، وقال الشعر عن سليقة مواتية وخاطر مساعف ، وقد انماز شعره بسهولة اللفظ ، وكثرة التشبيهات ، وتصوير المعاني تصويراً خياليا ساميا كما انماز هو بحبه مجالس العلم ، ومفاتشته للأدباء واكرامه للشعر والشعراء (١) .

وكان ابن المعتز كثير الشرب ميالا الى اللهو يعاشر الرهبان في الديرة ويعاقر الصهباء مع المجان ، ويقصد الحانات ليشرب من يد الخمارين ، وهو مع هذا أديب معدود وشاعر محسوب ، له من المصنفات كتاب « الزهر والرياض » وكتاب « البديع » وكتاب « الجوارح والصيد » وكتاب « الجامع في الغناء » وكتاب « طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء » ولو اطال الله له العمر ولم تهلكه مطامع الخلافة لكانت مصنفاته اكثر ، ولكن الأقدار أبت عليه الا أن يرضخ لمشيئة الثوار من الاجناد ويتقيل منهم الخلافة الواهنة بعد عزل المقتدر ، فيجمع انصار المقتدر شملهم ، ويحدقوا به ويأسروه ، ويعيدوا المقتدر الى الخلافة ، فيأمر المقتدر بقتله ، فيقتل وهو في الخامسة والأربعين بعد ان مكث في الخلافة يوماً وليلة . وقد ريع لمقتله الأدب والشعر والطرب والغناء ورثاه ندماؤه من

(١) ترجم له جرجي زيدان في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٦١

الشعراء وبكى عليه كل من عرف علمه وأدبه وفضله .

ومن خمرياته هذه الأبيات الرقيقة :

ومشمولة قد طال بالقفص حبسها
حكت نار ابراهيم في اللون والبرد (١)
حططنا الى خمارها بعد هجعة
رحال مطايا لم تزل يومها تخدي (٢)

ملوك للذات الشباب تواضعوا ولم يحفلوا فيها بذم ولا حمد
فباتوا لدى الخمار في بيت حانة واخلوا قصوراً بالرصافة والحد
ودام عليهم بالمدام ممنطق بزناره حلو الشمائل والقد (٣)

---

(١) القفص : قرية من قرى بغداد .
(٢) تخدي : تسرع .
(٣) ممنطق : شاد وسطه .

دير الخوات [1]

•

يقع دير الخوات بعكبرا على بعد تسعة فراسخ من بغداد في موضع حسن وموقع نزه تحف به البساتين وتكتنفه الرياض ، وكان عامراً يسكنه نساء مترهبات متبتلات فيه ؛ وعيده الأحد الأول من الصوم ، يخرج اليه النصارى والمسلمون فيتعبدون فيه ويتنزهون حوله [2] .

وقد بقي الدير عامراً ، مأهولاً حتى دالت دولة سامراء فمسه قانون الحياة بالوهن وطفق نجمه يأفل ثم روعته معاول التخريب زمن التفكك والاضمحلال ،واندثر كما اندثرت معظم ديارات العراق. وفي هذا الدير يقول أبو عثمان الناجم راوية ابن الرومي :

(١) الخوات : تحريف الأخوات

(٢) اورد الشابشتي حكاية «ليلة الماشوش» في كلامه عن هذا الدير وعيده، وهي حكاية لا يقبلها عقل ولا منطق ولا دين واقرب منها الى التصديق مايقوله العامة في الارض وثورها العظيم.

آح قلبي من الصبابة آح من جوار مزينات ملاح
أهل دير الخوات بالله ربي هل على عاشق قضى من جناح
وفتاة كأنها غصن بان ذات وجه كمثل نور الصباح

وقد كان سعد بن الحسن بن شداد المكنى بأبي عثمان والملقب بالناجم أديباً فاضلاً شاعراً (١) ، وكان راوية حفاظة صحب ابن الرومي طيلة حياته وحفظ أشعاره كلها ، ورواها للناس ، وكان ابن الرومي شديد الاعجاب به ، يحبه ويحترمه ، وفيه يقول عندما اعتل بعلته التي مات منها :

أبا عثمان أنت عميد قومك وجودك للعشيرة دون لومك
تمتع من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك

وللناجم أشعار مليحة حلوة جلها في الوصف والغزل ومنازل اللهو ومواطن المجون ومن رقيقها قوله :

لئن كان عن عيني أحمد غائباً فما هو عن عين الضمير بغائب
له صورة في القلب لم يقصها النوى ولم تتخطفها أكف النوائب
اذا ساءني منه نزوح دياره وضاقت علي في نواه مذاهبي
عطفت على شخص له غير نازح محلته بين الحشا والترائب

وكانت وفاة أبي عثمان سنة ٣١٤ هـ .

(١) فوات الوفيات ص ١٧٠ ج اول .

دير العذارى

•

كان في العراق بضعة اديار تسمى بهذا الاسم منها واحد في الحيرة وواحد في سامراء وواحد في بغداد ، والمعني بهذا الحديث دير بغداد وقد كان يقع على شاطىء دجلة قرب قرية الحظيرة ، وسكانه جوار عابدات عذارى ولذا سمي بهن .

اما موقعه فانه من اطيب المواقع واجملها ،وحسبه حسناونضارة قربه من بغداد ومجاورته للحظيرة بلد الرياض الفواحة والطيور الصداحة .

ولم يكن النزول بهذا الدير مباحا كشأن كل دير ، وانما كان ينزله الامراء في اوقات خاصة ، ولا يطيلون الاقامة فيه . وكانت حرمته تملأ قلوب النصارى والمسلمين ، و بقي عامراً حتى أتت عليه دجلة بمدودها فأهلكته (١) . وقد قيل ان عبد الله بن المعتز كان

(١) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ص ٢٥٩ .

يهوى ولوج هذا الدير و يعجبه الشرب مع من فيه ولذلك يقول :

خليلي قم حتى نموت من السكر بحانة خمار نماتاً بلا قبر
ونشرب من كرخية ذهبية ونصفح عن ذنب الحوادث والدهر
الا رب أيام مضين حميدة بدير العذارى والصوامع والقصر

وله في الدير نفسه :

يا جيرة الوادي على المشرع العذب
سقاك حياً حي الثرى ميت الجدب
وحسبك يا دير العذارى قليل ما
يجن بما تحويه من طيبة قلبي
كذبت الهوى ان لم اقف اشتكي الهوى
اليك وان طال الوقوف على صحبي
وعجت به والصبح ينتهب الدجى
بأضوائه والنجم يركض في الغرب
اصانع اطراف الدموع بمقلة
موفرة بالدمع غربا على غرب
وهل هي الا حاجة قضيت لنا
ولوم تحملناه في طاعة الحب

ولجحظة البرمكي في دير العذارى الأبيات الآتية وقد بالغ اذ

جعل هذا الدير مسكنه ومأواه ، والمبالغة في الشعر زينة له وجمال :

قالوا قميصك مغمور بآثار من المدامة والريحان والقار (١)
فقلت من كان مأواه ومسكنه دير العذارى لدى حانوت خمار
وساده يده والأرض مفرشه لا يستطيع لسكر حل أزرار
لم ينكر الناس منه ان حلته خضراء كالروض اوحمراء كالنار

أما الشاعران فقد سبق الكلام عنهما وللأول موشح لطيف نهج فيه نهج شعراء الاندلس (٢) وهو مما يتغنى به قال :

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكى وسقاني أربعاً في أربع

ما لعيني عشيت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبري

---

(١) القار : القير ، وبالغين الكهف او الجيش العرمرم او نوع من الشجر.
(٢) لم ينكر شعراء الأندلس الشعر المعروف بالموشح ، وانما أخذوه من الشعر الاوربي الغنائي المعروف بالتربادور .

عشيت عيناي من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكى ويحه يبكي لما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومي عذلوا واجتهدوا
انكروا شكواي مما أجد
مِثْلُ حالي حقه ان يشتكى كمد اليأس وذل الطمع
كبد حرى ودمع يكف (١)
يذرف الدمع ولا ينذرف
ايها المعرض عما أصف
قد نما حبي بقلبي وذكا لا تقل في الحب إني مدعي (٢)

---

(١) وكف يكف : الدمع سال شيئاً فشيئاً
(٢) نما ينمو : زاد وكثر ، وذكا يذكو : اشتد لهيبه

دير مر يحنا

•

بني هذا الدير محاذياً لتكريت على نهر دجلة ، وهو دير حسن كبير فيه كثير من القلالي ،وعلى بابه صومعة ، و به رهبان ،يتجاوز عددهم المائتين ، وله زروع وغلات ، وحوله بساتين ورياض ، وكان المجتاز به ينزله فيستضاف فيه ، فيحل مضيفاً قد أعـد على مراتب الناس واقدارهم .

ومن الندرة ان يخلو هذا الدير من القاصدين اليه ، والمعرجين عليه ، وكان عمرو الوراق لا يطيق صبراً عنه ، وله فيه الأبيات الآتية :

أرى قلبي قد حنا ... الى دير مر يحنا
الى غيطانه الفيح ... الى روضته الغنا (١)
الى ظبي من الأنس ... يصيد الأنس والجنا

(١) الغيطان : ج غوطة بفتح الاول وهي المطمئن من الارض .

الى غصن من البان به قلبي قد جنا
الى احسن خلق الله ان قدّس او غنى (١)
فلما انبلج الصبح نزلنا بيننا دنا
ولما دارت الكأس أدار بيننا لحنا
ولما هجع السمار نمنا وتعانقنا

وعمرو الوراق من رفاق أبي نواس واسم والده عبد الملك العنزي (٢) فنشأ شاعراً ماجناً وله أخبار كثيرة مع الحسن بن هانىء ومداعبات لطيفة جمة ، وهو بصري الأصل (٣) سكن بغداد ، وعد من شعرائها ، وقد خاض عمرو غمار حرب الأخوين الأمين والمأمون بأشعاره ، وكان أبو نواس والحسين بن الضحاك وعمرو الوراق من أظرف شعراء بغداد واكثرهم تهتكا ومكاشفة بالمجون والخلاعة ومن شعر عمرو هذه الأبيات :

عوجوا الى بيت عمرو الى سماع وخمر
وناشجات علينا تطاع في كل أمر (٤)

---

(١) قدس : اقام القداس .
(٢) نسبة الى عنزة لأنه مولى من مواليها .
(٣) انظر معجم الشعراء لابي عبد الله محمد بن عمران المزرباني ص ٢١٨ .
(٤) الناشجات : المغنيات

وبيسري رخيم يزهو بجيد ونحر (١)
هذا وليس عليكم أولى ولا وقت عصر
قوموا وليس علينا حقاً جنايات غدر

ومن شعره في الهجاء قوله :

الحمد لله العلي ومن له كل المحامد
أيسبني رجل عليـ ـه من الدعارة الف شاهد
ماذا أقول لمن له في كل عضو ألف والد

وله :

ايها السائل عني لست من أهل الصلاح
انا انسان مريب اشتهي نيل الملاح
قد قسمت الدهر بومي ن لفسق ولراح
لا أبالي من لحاني لا أطاع الدهر لاح

---

(١) يزهو : يتيه ويدل

عُمْرُ مَارْ يُوحَنَّا (١)

•

كان هذا العمر بالأنبار مطلاً على نهر الفرات ، وقد بني على شكل حصن منيع ، يحيط به سور عظيم ، وفيه كثير من الرهبان ، الذين انقطعوا للعبادة ، بعيداً عن صخب المدن، وضجيجها ، وكانت كرومه وبقوله وأزهاره ، ورياحينه من دواعي تردد الناس عليه ، وترنم الشعراء بمحاسنه . والأنبار مدينة ذات شأن ، حظيت باحتضان الخلافة العباسية قبل بناء بغداد ، وانجبت كثيراً من الأدباء المبرزين ، والشعراء المفلقين والعلماء المتفلسفين في مختلف أدوار العهد العباسي ، وقد ورد ذكر هذا الدير في شعر بعض الشعراء ولكشاجم فيه الأبيات الآتية :

اغد يا صاحبي الى الأنبار نشرب الراح في شباب النهار

(١) العمر : بضم العين وسكون الميم الدير ، وسمي عمراً لان الانسان يعمر فيه ربه أي يعبده .

واعمر العمر باللذاذات والقصـ ـف وحث الكؤوس والأوتار
ما ترى الدهر قد أتاك بوجـه طلق بعـد نبـوة وازورار
لابساً حـلة من الزهر كانت قبل محجوبـة عـن الأبصار
نرجساً كالعيون ترغب من يهو اه من غير رقبة او حـذار (١)
واذا ما بـدا الشقائق فيهـا خـاله النـاظرون شعـلة نار
وكأن البنفسج الغض فيها أثر القرص في خـدود الجـوار
اقحوان وسوسن حسن النـو ر وشيح منمنم مـع بهار (٢)
فاغتنم غفـلة الزمان وبادر وافترص لذة الليالي القصار (٣)

وقـد كان محمود بن الحسين بن شاهق المكنى بأبي الفتـح والملقب بكشاجم او « السندي » شاعراً مـن ابرز شعراء العصر العباسي الثالث ، وكان هندي الأصل ، سكن الرمـلة حيناً فلقب بالرملي (٤) ثم اتصل بخدمـة سيف الدولة ، وسكن حلب (٥) وكانت جل اشعاره في وصف الرياض والمياه ، ومجالس الشرب والاشادة بمحاسن الديرة وأدب الرهبان وزهدهم ، ومما يعرف عنه

---

(١) الرقبة : بكسر الأول التحفظ .
(٢) منمنم : ملتف مجتمع .
(٣) افترص : انتهز .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ٢ ص ٢٥١ .
(٥) قيل انه كان لديه طباخاً .

انه كان واسع الاطلاع في علم الفلك ولأشعاره رقة وفيها تسلسل طبيعي يكسبانها جمالاً ويحببانها الى الاسماع والاذواق. وكان الناس في عصره ولا سيما الأدباء والمتأدبين منهم يتهافتون على شراء ديوانه ويعطرون مجالسهم بقراءة قصائده، ويطيب لهم الجدل في معانيه، وقد عني بجمع أشعاره، وتوريق ديوانه ونشره السري الرفاء الشاعر الموصلي الشهير، وكان معاصراً له ولكنه لم يتورع من أن ينسب الى كشاجم احسن قصائد الخالديين عداوة منه وحسداً (١).

وديوان كشاجسم مطبوع مرتب على حروف المعجم، وله مصنف لطيف في واجبات المنادمة مطبوع أيضاً (٢) ومن رقيق شعره قوله:

يالقومي من لمكتئب ... دمعه في الخد منسفح
لامه العذال في رشأ ... عذره في مثله يضح (٣)
وادعوا نصحي واخون ما ... كان عذالي اذا نصحوا
خوفوني من فضيحته ... ليته وافى وأفتضح
ذهبي الخد تحسب في ... وجنتيه النار تنقدح (٤)

---

(١) الخالديين: هما أبو بكر وابو عثمان ولدا هاشم الخالدي اللذان كانا من ابرز أدباء الموصل في ذلك العصر ولكل منهما ترجمة وافية في هذا الكتاب.
(٢) ديوانه طبع في بيروت سنة ١٣١٣هـ وكتابه طبع في مصر سنة ١٢٩٨هـ
(٣) الرشأ: ولد الظبية.
(٤) تنقدح: تشتعل.

كيف يسلو القلب عن غصن عـله مـن مائـه المرح
صـد اذ مازحته غضباً ماعلى الاحباب ان مزحوا
وهو لا يدري لنخوتـه اننا في النوم نصطلـح
ثم لا أنسى مقـالتـه أطفيـلي ومقـترح

وقال يصف حاله مع محبوبته :

جاءت فأكبرها طرفي فقمت لها وقـد يقوم لأتباعـي مواليهـا
ثم استهلت فغنت وهي محسنة من بعض ابيات شعر قلته فيها
فأحسنت فأصابت في صناعتها ومـا اخلت بمعنى مـن معانيها
تهوى مناجاتها نفسي و يقنعها بعض العناق وبعض اللثم يكفيها
ولا أهم بشيء غير ذاك بـلى استغفر الله مص الريق من فيها
غصني نضير واخـلاقي محببة الى القيان رقيقات حواشيها
كم من حديث قصير قد أصيد به قلب الفتـاة واشعار أزجيهـا
تود كل فتاة حين تسمعها اني بهـا دون خلق الله أعنيهـا

فكيف اخشى صدود الغانيات وقد

أخذت عهد أمان من تجنيها

وكانت وفاة كشاجم [1] سنة ٣٣٠ هـ وقيل انها كانت سنة ٣٦٠ هـ والأرجح انه توفي سنة ٣٥٠ هـ والله أعلم .

(١) سئل لماذا لقب بكشاجم فقال الكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من جواد والميم من منجم .

دير السُّوسي

•

كان هذا الدير واقعاً على شاطىء دجلة بقرب من قرية تعرف بالقادسية [1] وكانت المسافة بين سامراء والقادسية نحو أربعة فراسخ وهي ذات بساتين متصلة وكروم متشابكة ، شأنها شأن غيرها من ضواحي سامراء ، والدير عمارة حسنة وفيه رهبان كرام يضيفون المجتاز بهم ، ويكرمون الوافد عليهم .

حكى أحمد بن أبي طاهر قال : قصدت بسر من رأى رائداً بعض كبارها بشعر مدحته بـه ، فقبلني وأجزل صلتي ووهب لي غلاماً روميا حسن الوجه ؛ فسرت أريـد بغداد ، فلما سرت نحو فرسخ [2] أخذتني السحاب ، فعدلت الى دير السوسي لنقيم فيه الى

---

(١) قادسية سامراء لا قادسية الحيرة.

(٢) كذا يقول ويذهب الشابشتي الى ان المسافة اربعة فراسخ .

ان يخف المطر فاشتد القطر ، وجاء الليل ، فقال الراهب الذي هو فيه : أنت العشية بائت هنا وعندي شراب جيد ، فتبيت تقصف ثم تبكر ، فبت عنده ؛ فأخرج لي شراباً جيداً ما رأيت أصفى منه ولا أعطر ، وبات الغلام يسقيني ، والراهب نديمي حتى مت سكراً . فلما أصبحت رحلت ، وقلت في الدير أبياتاً من الشعر . والحق ان دير السوسي كان موطناً من مواطن السرور ، ولذا كثر طراقه وقصاده ، ووجب التعريج عليه من المصعدين الى سامراء ؛ والمنحدرين نحو بغداد ، وكان الشعراء من اكثر الناس شغفاً بزيارته ورغبة في التمتع بين جدرانه، ولهم فيه أشعار رقيقة وحكايات حلوة.

وقد قال فيه أحمد بن أبي طاهر حينما مر به الأبيات الآتية :

سقى سرمن را وسكانها ... وديراً لسوسيها الراهب
فقد بت في ديره ليلة ... وبدر على غصن صاحبي
غزال سقاني حتى الصباح ... صفراء كالذهب الذائب
سقاني المدامة مستيقظاً ... ونمت ونام الى جانبي (١)

---

(١) وفي آخرها : يقول

فيا رب تب واعف عن مذنب ... مقر بزلته تائب

ويكنى أحمد بن أبي طاهر بأبي الفضل ،وهو من بغداد كانت ولادته سنة ٢٠٤ هـ وقد عني منذ حداثته بالعلم ، وقرض الشعر ، والاشتغال بتصنيف الكتب ، وكان مع هـذا كله رقيق الحـال ، لاينفك من الوقوع في ضائقات تحدوه الى التكسب بالمديح . ولأبي الفضل هذا مصنفات كثيرة منها « الجامع في الشعراء واخبارهم » كتاب « فضل العرب على العجم »، كتاب « المنثور والمنظوم » كتاب « بغداد » كتاب « الخيل » .

ومن اخباره ما رواه عن نفسه قال :

خرجت من منزل أبي الصقر نصف النهار في تموز فقلت ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرد ، اذ كنت لا أقدر اصل منزلي بباب الشام ؛ فجئته ؛ فأدخلني الى حوشية له ، وجـاءني بمائدة ؛ فأكلت معه لونين طيبين ، وسقاني ماء بارداً ، وقال لي أحدثك إلى ان تنام ؛ فجعل يحدثني أحسن حديث فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان ؛ فقلت قد حضرني بيتان انشدهما ؟ فقال : ذاك إليك ، وهو يظن اني قد مدحته فأنشدته :

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق

على انه منـه أحرّ وأومد (١)

---

(١) أومد : أحر

ظللت بـه عـند المبرد قـائلاً

فما زلت في الفاظه أتبرد (١)

فقال لي قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تذم ، ومالك عنـدي جزاء الا أن اخرجك ، فأخرجني ، فمضيت الى منزلي ، فمرضت من الحر الذي نالني مدة .

(١) قائلا : ممضياً وقت القيلولة .

دِيَارَاتُ المَوصِلِ

دير سعيد (١)

•

كان يقع دير سعيد في الجهة الغربية من الموصل ؛ مطلاً على نهر دجلة ، وكان بناؤه حسناً ، وفيه قلايات كثيرة ، احسن ما تكون عمارة ونضارة .

وحول كل قلاية من قلاليه حدائق غلب ، وجنينات تحوي من الرياحين وأصناف الزهور شيئاً كثيراً .

وللدير منظر عجيب في الربيع يكتسبه من وشي وروده وحلى رياحينه فتطرب له القلوب ، وتهفو الى زيارته الاكباد .

ويبقى طوال ايام فصل الربيع آهل العرصات ، معمور الساحات . ومن اعتقاد أهالي الموصل ـ ولا سيما النصارى منهم ـ ان تراب هذا الدير ينفع في لدغ العقارب وان الدار اذا رشت بماء

(١) نسبة الى سعيد بن عبدالملك بن مروان الذي كان يتعهده ويحسن الى رهبانه ايام امارته بالموصل .

من مائه تحامتها العقارب ،وكان السري الرفاء يهوى هذا الدير ، ويحرص على زيارته في فصل الربيع ، وله فيه من قصيدة يتشوق بها الموصل وهو بحلب :

أمحل صبوتنا دعاء مشوق ... يرتاح منك الى الهوى المومق
هل اطرقن الدير بين عصابة ... سلكوا الى اللذات كل طريق
ام هل ارى القصر المنيف معمماً ... برداء غيم كالرداء رقيق
وقلالي الدير التي لولا النوى ... لم ارمها بقلى ولا بعقوق (١)
محمرة الجدران ينفح طيبها ... فكأنها مبنية بخلوق (٢)
ومحل خاشعة القلوب تغردوا ... بالذكر بين فروقه وفروقي
أغشاه بين منافق متجمل ... ومناضل عن كفره زنديق
دهر ترفق بي فوافى صرفه ... وسطا علي فكان غير رفيق
فمتى أزور قباب مشرفة الذرى ... فأرود بين النسر والعيوق
وأرى الصوامع في غوارب أكمها ... مثل الهوادج في قوارب نوق (٣)
حمراً تلوح خلالها بيض كما ... فصلت بالكافور سمط عقيق
كلف تذكر قبل ناهية النهى ... ظلين ظل هوى وظل حديق (٤)

---

(١) القلى: البغض .
(٢) الخلوق : الطيب .
(٣) القوارب : ج قارب وهو أعلى كل شيء ، وقوارب النوق اسنانها .
(٤) الحديق : البستان عليه حائط .

فتفرقت عبراتـه في خده اذ لا مجير له من التفريق

ولد السري بن احمد المعروف بالسري الرفاء بالموصل من أبوين فقيرين ، ولما ترعرع حفظ القرآن وشيئاً من اشعار العرب ، وأخـذ عن نحاة المساجد مبادىء العربية ولم تساعفه حال اهله على اتمـام دراسته ؛ فأسلم وهو في سن مبكرة الى الرفائين فكان يرفو ويطرز الى أن قضى باكورة شبابه (١)؛ ولكن هذه المهنة لم تحل بينه وبين الأدب ؛ فجد في الحفظ وداوم على قرض الشعر حتى آنس في نفسه القدرة على الظهور ، وعرض نتاج القريحة على الناس ، فانتقل عن سوق البزازين الى سوق الادب والشعر .

وكانت الموصل ميداناً لفرسي رهان ، وفارسي ميدان اخوين شقيقين وشاعرين رقيقين هما الخالديان خازنا كتب سيف الدولة الحمداني وكان الناس يترنمون باشعارهما ، ويقدمونها على غيرهما من شعراء ذلك العصر؛ فعز على الرفاء ان يركض في ركابهما ،ويتخلف ذكره عن ذكرهما فناصبهما العداوة ، وادعى عليهما سرقة شعـره ، وشعر غيره ، وطفق يورق وينسخ ديوان ابي الفتح كشاجم ـ وكان ديوانه ريحان الأدباء بالموصل ـ ويدس فيما يكتبه من شعر كشاجم أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم الديوان ويغلي سعره .

---

(١) انظر يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٠٣ .

وكان الرفاء من المغرمين بالشرب في الديرة ، وكانت حاله لا تساعده فعانى ما عانى من جماح نفسه ، وضيق يده ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى غادر الموصل الى حلب ، واتصل بسيف الدولة وامتدحه فسطع نجمه وسار ذكره وقرب به أمراء بني حمدان ، وضمته حلب الى صدرها ، وألبسته برود قشيبة من الهناء والسعادة . ولكنه لم ينس الموصل ودير سعيد ، فتشوقهما ، وحن الى رفاقه الذين كانوا يشاطرونه لذاذة القصف والنزف (١) .

و بعد موت سيف الدولة قصد بغداد ومدح المهلبي الوزير وغيره من أعيان العراق فأجزلوا صلته ، ورفعوا درجته ، وطار شعره في الآفاق . ومن هجائه للخالديين هذه القصيدة التي يمتدح بها ابا البركات لطف الله بن ناصر الدولة :

يا أكرم الناس الا ان يعد أبا ... فات الكرام بآباء وآثار
اشكو اليك حليفي غارة شهرا ... سيف الشقاق على ديباج افكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم ... لمزقاه بانياب واظفار
سلا عليه سيوف البغي مصلتة ... في جحفل من صنيع الظلم جرار
ورب مسفرة الالفاظ تحسبها ... صفيحة بين اشراق واسفار
ارقت ماء شبابي في محاسنها ... حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري

(١) اقرأ قصيدته التي مطلعها : (امحل صبوتنا) .

كأنها نفس الريحان يمزجه صبا الأصائل من انفاس نوار
ان قلداك بدر فهو من لججي أو ختماك بياقوت فاحجاري
ومارأى الناس سبياً مثل سبيهما بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حياً ولا رثيا ميتاً ولا افتخرا الا باشعاري
هذا وعندي من لفظ اشعشعه سلافة ذات اضواء وانوار
كريمة ليس من كرم ولا الثمت عروسها بخمار عند خمار
لم يبق لي من قريض كان لي وزراً على الشدائد الا ثقل أوزار (١)
اراه قد هتكت أستار حرمته وسائر الشعر مستور باستار
كأنه جنة راحت حدائقها من الغبيين في نار واعصار (٢)
عار من النسب الوضاح منتسب في الخالدين بين العر والعار (٣)

وقوله فيهما مخاطباً سلامة بن فهد :

هل الصبر مجد حين ادرع الصبرا وهل ناصر للشعر يوسعه نصرا ؟!
تحيف شعري يا ابن فهد مصالت عليه فقد اعدمت منه وقد اثرى (٤)
وفي كل يوم للغبيين غارة تروع الفاظي المحجلة الغرا
اذا عن لي معنى يضاحك لفظه كما ضاحك النوار في روضه الغدرا

---

(١) الوزر : المعين ، والأوزار الاحمال الثقيلة .
(٢) يعني بالغبيين الخالدين والاعصار ريح شديدة .
(٣) العر ، بالفتح العيب وبالضم الجرب .
(٤) تحيف : تنقص ، تحيف شعري اخذه منه ، والمصالت اللص .

غريب كشطر البرق لما تبسمت ... مخائله للفكر اودعته سطرا
تناوله مثر من الجهل معدم ... من الحلم معذور متى خلع العذرا
فبعد ما قربت منه غباوة ... وأوزر ماسهلت من لفظه وعرا
فمهلاً ابا عثمان مهلاً فانما ... يغار على الأشعار من عشق الشعرا (١)
لأطفأتما تلك النجوم باسرها ... ودنستما تلك المطارف والأزرا
فويحكما هلا بشطر قنعتما ... وابقيتما لي من محاسنه شطرا

ومن رقيق شعره في الغزل قوله :

بنفسي من اجود له بنفسي ... ويبخل بالتحية والسلام
وحتفي كامن في مقلتيه ... كمون الموت في حد الحسام

وقوله وهو مما يتغنى به :

بلاني الحب منك بما بلاني ... فشأني أن تفيض غروب شاني
ابيت الليل مرتفقاً أناجي ... بصدق الوجد كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرض الثريا ... ويعلم ما أجن الفرقدان
اذا دنت الخيام به فاهلاً ... بذاك الخيم والخيم الدواني (٢)
فبين سجوفها أقمار تم ... وبين عمادها أغصان بان (٣)

---

(١) يخاطب الخالدي الصغير .
(٢) الخيم : الخلق والسجية والخيم ج خيمة .
(٣) السجوف : الأستار .

ومذهبة الخدود بجلنار مفضفضة الثغور باقحوان
سقاني الله من رياك رياً وحيانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتي عمن نهاني دموع فيك تلحن من لحاني (١)
ولم اجهل نصيحته ولكن جنون الحب احلى في جناني
فيا ولع العواذل خل عني ويا كف الغرام خذي عناني

وله في دير من أديار الموصل وأظنه دير سعيد :

شاقني مستشرف الدير وقد راح صوب المزن فيه وبكر
أهواء رقّ في أرجائه ام هوى راق فما فيه كدر
ام خدود سفرت عن وردها ام ربيع عن جنى الورد سفر
مجلس ينصرف الشرب وما طويت من بسطه تلك الحبر
وكأن الشمس فيه نثرت ورقاً ما بين اوراق الشجر

ومن قصيدة يذكر فيها قطربل وديراً شغفه غزال من غزلانه فكان يقبل الصلبان لأجله :

كستك الشبيبة ريعانها وأهدت لك الراح ريحانها
فدم للنديم على عهده وغاد المدام وندمانها (٢)
فقد خلع الافق ثوب الدجى كما نضت البيض اجفانها (٣)

(١) لحاني : لامني وسبني .
(٢) غاد المدامة : باكرها بالاصطباح .
(٣) نضت : نزعت وخلعت

وساق يواجهني وجهه فتجعله العين بستانها
يتوج بالكاس كف النديم إذا نظم الماء تيجانها
فطوراً يشوخ باقوتها وطوراً يرصع عقيانها (١)
رميت با فراسها حلبة من اللهو ترهج ميدانها (٢)
وديراً شغفت بغزلانه فكدت أقبل صلبانها
سكرت بقطربل ليلة لهوت فغازلت غزلانها (٣)
واي ليالي الهوى أحسنت الي فانكرت احسانها !!

ومن غرره ودرره هذه القطعة يصف فيها روضة وقوس قزح :

ان عنّ لهو أو سنح فاغد الى الراح ورح
رضيت ان احظى بعزال كأس والحظ منح
وصاحب يقدح لي نار السرور بالقدح
في روضة قد لبست من لؤلؤ الطل سبح
يألفني حمامها مغتبقاً ومصطبح (٤)
أوقظه بالعزف او يوقظني اذا صدح

---

(١) العقيان : الذهب الخالص .
(٢) الحلبة : بالفتح فالسكون ، الخيل المجتمعة للسباق .
(٣) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا .
(٤) مغتبقاً ومصطبح : اي في الغداة والعشي .

والجـو في ممسك طـرازه قوس قزح
يبكي بلا حزن كما يضحك من غير فرح

وللسري الرفاء ديوان لا يزال مخطوطاً منه نسخة في دار الكتب المصرية في نحو (٤٠٠) صفحة وكتاب في الحب والمحبوب، والمشموم والمشروب وهو اربعة أقسام في المحبين وأشعارهم والاطياب والأزهار وأسماء الخمر (١).

وكانت وفاة الرفاء سنة ٣٦٢ هـ (٢)

(١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ٢ ص ٢٥٣.
(٢) للسري الرفاء ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٠١.

دير ميخائيل

•

كان يركب نهر دجلة على ميل من الموصل فوق مستشرف جميل ، تحته بساتين وكروم ، وبجواره رابية جميلة المنظر يكسوها العشب في الربيع حلة خضراء موشاة تضيف الى جمالها فتنة وسحرا ، والى مقام الدير خطراً وقدرا .

وبه قلالي كثيرة في غاية الظرف محفوفة بانواع الشجر وأصناف الزهر . وله عيد يكون قبل الشعانين بأسبوع تخرج اليه النصارى بنسائهم وصبيانهم ، ويمر لهم فيه يوم وليلة تتجاوب فيه ألحان الأغاني وقراءة الرهبان (١) .

قيل ان رهبانه حفروا في قلاية من قلاليه بئراً وفي حفرهم وجدوا صندوقاً من حجر فاستخرج وفتح ، فاذا فيه ميت لا تزال جثته سليمة ، والى رأسه صحيفة من نحاس او نحوه عليها كتابة

(١) عن مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ص ٢٩٤ .

قديمة لم يهتدوا الى قراءتها ؛ فبلغ المسلمين النبأ فأتوا الدير وهموا بحمل الصندوق وما فيه ، ولكن النصارى تشبثوا به فتركه المسلمون لهم ؛ فأعادوه الى الحفرة وواروه .

كان هذا الدير معروفاً بجودة الخمرة ، وفيه حانة من انظف حانات الموصل ، ولخمارها ابن جميل مهفهف القوام خفيف الروح يشرب المجان على وجهه ، ويطرقون الدير من اجله .

وكان الخالدي الكبير من اكثر الشعراء زيارة لهذا الدير وله فيه:

بحمرة وجه لذاك الهلال ... وفترة مقلة ذاك الغزال
صل اليوم بالامس اني ارى ... له بالسعود وجوه اتصال
هواء صفا ، وهوى مثله ... كخمر دلال وماء زلال
وغيم توهمه كالنوى ... وصحو حقيقته كالمحال !
ومثل اليواقيت زهر الربى ... وقطر الندى بينها كاللآلي
وذا الدير تسعى بغزلانه ... شعانينه في صنوف الجمال (١)
وصفراء بائعها خاسر ... ولو حاز عن قدح بيت مال (٢)
ايا با مخايال افدي ثراك ... بنفسي ومالي وعمي وخالي (٣)

---

(١) شعانينه : أعياده .

(٢) يقصد انها لجودتها وطيبها رخيصة مهما كان ثمنها وبائعها خاسر ولو باع القدح منها بآلاف الدنانير .

(٣) بامخايال : اسم من اسماء هذا الدير .

فكم سكرة لي قبل الأذان · بين دواليبه والدوالي
تجول خيول دواليبها فتملأ ماورد ذاك المجال

والخالدي الكبير هو ابو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عثمان بن بلال الخالدي (١) ـ خازن كتب سيف الدولة الحمداني: كان اديباً حسن الانشاء رقيق الشعر واسع الاطلاع ، وكان اخوه الخالدي الصغير يشاركه فيما يقول ويكتب ، وكثيراً ما اشتركا في نظم قصيدة او كتابة رسالة او تصنيف كتاب .

ودانت الموصل لأدب الخالديين وعني الادباء فيها بشعرهما (٢) حتى انبرى لهما السري الرفاء ، فتحداهما وادعى انهما يتنقصان شعره وشعر غيره ، واتهمهما بالسرقة ، فلم يلتفتا اليه ، فهاجمهما ، وطفق يعرض بهما في اشعاره ، وتعصب له فريق من الأدباء ، وتعصب عليه آخرون ، وللخالدي الكبير مصنفات في الادب والتاريخ وله ديوان شعر رقيق ومن اشهرها كتاب في الديارات ؛ عنه اخذ ابن فضل الله العمري حينما كتب عن الديارات في كتابه مسالك الابصار.

ومن جيد شعر الخالدي قوله :

---

(١) نسبة الى قرية صغيرة من قرى الموصل تسمى الخالدية .
(٢) يقول فيهما ابو اسحق الصابي من قصيدة :
فطائفة قالت سعيد مقدم وطائفة قالت لهم بل محمد

رق ثوب الدجى وطاب الهواء وتدلت للمغرب الجوزاء
والصباح المنير قد نشرت منـ ـه على الأرض ريطة بيضاء (١)
فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر
ب عليهـا غلالة صفراء (٢)
قهوة بابلية كدم الشا دن بكراً لكنها شمطاء (٣)
قد كستها الدهور أردية الرق ة ، حتى جفا لديها الهواء
فهي في خد كأسها صفرة التبـ ـر ، وفي الخد وردة حمراء (٤)
عجباً ما رأيت من اعجب الاشيا ء تقدير من له الاشياء !

وقوله :

ياشبيه البدر حسناً وضياء ومثالا
وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالا
انت مثل الورد لوناً ونسيماً وملالا
زارنا حتى اذا ما سرنا بالقرب زالا

وقوله :

اهلاً بشمس مدام من يدي قمر تكامل الحسن فيه فهو تياه

---

(١) الريطة : الملاءة .
(٢) الغلالة : ما يلبس فوق الثوب أو تحته .
(٣) الشمطاء العجوز .
(٤) التبر : الذهب الخالص او هو الذهب الذي لا يزال تراب في معدنه .

كأن خمرته اذ قام يمزجها ... من خده اعتصرت او من ثناياه
اذا سقتك من الممزوج راحته ... كأساً سقتك كؤوس الصرف عيناه
في وجهه كل ريحان تراح له ... منا قلوب وأبصار وتهواه
النرجس الغض عيناه وطرته ... بنفسج وجني الورد خداه (١)

وقوله في دير مران :

محاسن الدير تسبيحي ومسباحي ... وخمره في الدجى صبحي ومصباحي
أقمت فيه الى ان صار هيكله ... بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
منادماً في قلاليه رهابنة ... راحت خلائقهم أصفى من الراح
قد عدلوا ثقل أديان ومعرفة ... فيهم بخفة أبدان وأرواح
ووشحوا غرر الآداب فلسفة ... وحكمة بعلوم ذات ايضاح
في طب بقراط لحن الموصلي وفي ... نحو المبرد اشعار الطرماح (٢)
فكم حننت الى حاناته وغدا ... شوقي يكاثر اصواتاً بأقداح
يا دير مران لا تعدم ضحى ودجى ... سجال غيث ملث الودق سجاح (٣)
ان تفن كاسك اكياسي فان بها ... يفل جيش همومي جيش افراحي

وقوله في دير قنى :

---

(١) الطرة : الناصية .
(٢) بقراط : أشهر طبيب يوناني في التاريخ القديم .
(٣) الودق : نزول المطر وانهماره ، وقد يجيء بمعنى المطر .

فلأشكرن لدير قنى ليلة أشرقت ظلمتها ببدر مشرق
بتنا نوفي اللهو فيها حقه بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو يسحب من عليل هوائه ثوباً يرش بطله المترقرق
حتى رأينا الليل قوس ظهره هرماً وأثر فيه شيب المفرق
يا طيبها من ليلة لو لم تكن قصرت فريع تجمع بتفرق

وتوفي الخالدي سنة ٣٨٠ هـ

عُمرُ الزعفران

•

كان يقع هذا العمر بنصيبين على رأس جبل مطلاً على البلد من جانب وعلى طور عبدين وبعض ديار بكر من جانب آخر (١) . وهو دير كبير حسن الصنعة محكم البناء على سور عظيم وأبوابه من حديد مصمت ، ورهبانـه كثيرون وهم ذوو يسار وأكثر يسارهم من العسل ، لاشتغالهم بتربية النحل ؛ ولهم بساتين كثيرة ، يزرع فيها الزعفران بكثرة ، وكذا أشجار البندق والفستق واللوز والبطم والزيتون . وفي الدير ماء عذب يستخرج من صهاريج منقورة في صخور الجبل يجتمع فيها ماء المطر في فصل الشتاء ، وحوله عيون جارية تتدفق من أصل الجبل .

وقال الشابشتي : « وبهذا الجبل ثلاث ديارات أخر في صف

---

(١) مسالك الأبصار ص ٣٠٥ .

واحد أحسن شيء منظراً ، وأجله موقعاً » وقد تغنى كثير من الشعراء بمحاسن عمر الزعفران وجودة شرابه ، وللببغاء فيه :

صفحت لهذا الدير عن سيئاته وعددت يوم الدير من حسناته
وصبحت عمر الزعفران (١) بصحبة
أعادت سرور القلب بعد وفاته
عمرت محل اللهو بعد دثوره وألفت شمل الأنس بعد شتاته
وعاشرت من رهبانه كل ماجن تجاوز لي عن صومه وصلاته
وأهيف فاخرت الرياض بحسنه فأذعن صفراً وصفها لصفاته
جلا الاقحوان الغض نوار ثغره ومال بغصن البان عن حركاته
واسكرني بالعذب من فم ريقه وأمتعني بالورد من وجناته
ولما دجا الليل استعادسنا الضحى براح نأت بالليل عن ظلماته
فما زال يسقيني ويشرب والمنى تبشرني عنه بصدق عداته
وخوفني منه فخلت صليبه لشدة ما يخشاه بعض وشاته

والببغاء هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي المولود في نصيبين شمالي العراق ، نشأ الثغ فلقب بالببغاء للثغته ، وقصد في صباه الموصل ، ودرس فيها العلوم العربية وقال الشعر ، وأجاد الكتابة ، فكان شاعراً ناثراً مبرزاً في شعره ونثره . ولما رأى الشعراء

(١) العمر : بضم فسكون الدير سمي عمراً لانه يعبد فيه .

يولون وجوههم شطر حلب ، حيث يلقون من أميرها الشاعر سيف الدولة الاعزاز والاكرام ، قصدها ، وامتدح الأمير العظيم ، وبقي في كنفه ولم يغادر حلب حتى ريع بوفاته ، فتنقل بين بغدادوالموصل يجتلي محاسن الطبيعة ، و يتطرح في زوايا اللذاذات ؛ وأشعار الببغاء رقيقة جداً ، وجلها في الغزل والخمر ، والديرة والرهبان ، ومحلها من الجودة رفيع ، ومن تشبيهاته العجيبة قوله من قصيدة يمتدح بها سيف الدولة :

وكأنما نقشت حوافر خيله ... للناظرين أهلة في الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروفاً وقد ... جعل الغبار له مكان الاثمد

ومن رقيق غزله قوله :

ومهفهف لما اكتست وجناته ... خلع الملاحة طرزت بعذاره
لما انتصرت على أليم جفائه ... بالقلب كان القلب من أنصاره
كملت محاسن وجهه فكأنما ... اقتبس الهلال النور من أنواره
واذا ألح القلب في هجرانه ... قال الهوى لابد منه فداره

وكانت وفاة الببغاء سنة ٣٩٨ هـ في بغداد على ارجح الأقوال (١) .

---

(١) ترجم له صاحب وفيات الأعيان في الجزء الأول ص ٢٩٨ .

الديـر الأعلى [1]

•

موقعه ووصفه : يقع الدير الأعلى في الموصل على قمـة جبل مطل على نهر دجلة من جهة الغرب ويرقى إليه بدرجة منقورة في الجبل تبلغ مائة مرقاة تنتهي نزولاً الى النهر ، ويعد هذا الدير من الأديار المشهورة بالاستشفاء [2] إذ يقصده الناس في وقت من السنة للاستحمام في عين له تنبع من تحته وتصب في دجلة ، يقولون انها تبرىء الأجرب والاقرع والمقعد كما انـه من أحسن الديارات عمارة وانزهها موضعاً وارقها هواء .قال الشابشتي :« وعيدالشعانين في هذا الدير حسن ، يخرج اليه الناس فيقيمون فيه الأيام يشربون ، ومن اجتاز بالموصل من الولاة نزله » .

---

(١) في الشابشتي دير الأعلى .

(٢) من هذه الأديار دير الجب ودير يونس ودير الكلب ودير القيـارة ودير باطا وكلها بنواحي الموصل ، وتقصد للاستشفاء .

وقال : « وكان المأمون اجتاز بهذا الدير في خروجه الى دمشق فأقام به اياماً ، ووافق نزوله عيد الشعانين ، وقد نزل في موضع حسن ، مشرف على دجلة والصحراء والبساتين ، يشاهد منه من يدخل الدير ، وتزيا الدير بأحسن زي في ذلك اليوم ؛ وخرج قسانه ورهبانه الى المذبح وحولهم فتيانهم بأيديهم المجامر ، وقد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة ، فرأى المأمون ذلك فاستحسنه وعطف الى المأمون من كان في الموكب من الجواري والغلمان بيد كل واحد منهم تحفة من رياحين او كؤوس فيها أنواع الشراب فأدناهم وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحفة ، وقد شغف بما رآه منهم » ولم يجتز بهذا الدير شاعر إلا وتغنى بحسنه ولأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (١) الأبيات الآتية :

قمر بدير الموصل الاعلى ... أنا عبده وهواه لي مولى
لثم الصليب فقلت من حسد ... قبل الحبيب فمن بها أولى
جد لي باحداهن كي يحيا بها ... قلبي فحبته على المقلى (٢)
فاحمر من خجل وكم قطفت ... عيني شقائق وجنة خجلي
وثكلت صبري عند فرقته ... فعرفت كيف تحرق الثكلى (٣)

(١) هو الخالدي الصغير وسيأتي الحديث عنه .
(٢) حبة القلب مهجته والمقلى وعاء القلي .
(٣) ثكلت صبري فقدته ، والثكلى من فقدت ولدها .

وقد سبق التنويه عن الشاعر في ذكر أخيه أبي بكر وهو أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي من أدباء الموصل الذين يشار اليهم بالبنان ، كان وأخاه في خدمة سيف الدولة الحمداني .وقد شغف بالديرة لكثرة تطرحه فيها وزيارته لها فاكثر من ذكرها في أشعاره وأجاد الوصف في رياضها وأزهارها ومياهها وأطيارها وجودة خمرها ونظافة حاناتها ورقة خماريها .

واستحوذ عليه حبها، فراد القفار ، وسلك الشعاب مع أخيه أبي بكر ، يجمعان اخبارها ، ويحققان مواقعها ومواضعها ، فاخرجا كتاباً اعتمد عليه كثير من المؤرخين بعد وفاتهما .

والخالدي الصغير شاعر مطبوع كأخيه،وقد اتهمه السرى الرفاء كما اتهم اخاه بسرقة شعره وشعر أبي الفتح كشاجم ، وأشغل نفسه بهجائهما وهجاء من تعصب لهما زمناً غير قصير .

ومن خرائد أبي عثمان قوله :

نيل المطالب بالهندية البتر ... لا بالأماني والتأميل للقدر (١)
فان عفا طلل أو باد ساكنه ... فلا تقف فيه بين البث والفكر
لو لم اكن مشبهاً للناس في خلقي ... لقلت أني من جيل سوى البشر
او لم يكن ماء علمي قاهراً فكري ... لا حرقتني في نيرانها فكري

(١) الهندية : السيوف المنسوبة الى الهند وهي قرية قرب العقبة .

لاشيء أعجب عندي في تباينه ... اذا تأملته من هذه الصور
أرى ثياباً وفي اثنائها بقر ... بلا قرون وذا عيب على البقر
اني لأسير في الآفاق من مثل ... فرد وأملأ للآفاق من قمر
اذا تشككت في ما أنت مبصره ... فلا تقل انني في الناس ذو بصر
وكيف يفرح انسان بمقلته ... اذا نضاها فلم تصدقه في النظر
لقد فرحت بما عانيت من عدم ... خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الأعمى بحالته ... لانه قد نجا من طيرة العور (١)
ولست ابكي لشيب قد منيت به ... يبكى على الشيب من يأس على العمر
كن من صديقك لا من غيره حذراً ... ان كان ينجيك منه شدة الحذر
ما أطمئن الى خلق فأخبره ... الا تكشف لي عن لؤم مختبر
وقد نظرت الى الدنيا بمقلتها ... فاستصغرتها جفوني غاية الصغر
وما شكرت زماني وهو يصعدني ... فكيف اشكره في حال منحدر
لاعار يلحقني اني بلا نشب ... واي عار على عين بلا حور (٢)
فان بلغت الذي أهوى فعن قدر ... وان حرمت الذي اهوى فعن عذر

وله في دير سعيد :

ياحسن دير سعيد اذ حللت به ... والأرض والروض في وشي وديباج

---

(١) الطيرة : بسكون الياء ما يتشاءم به .
(٢) النشب : المال .

وللحمائم الحان تذكرنا احبابنا بين ارمال واهزاج
وللنسيم على الغدران رفرفة يزورها فتلقاه بأمواج
والخمر تجلى على خطابها فترى عرائس الكرم قد زفت لأزواج
وكلنا من اكاليل البهار على رؤوسنا كأنوشروان في التاج
ونحن في فلك اللهو المحيط بنا كأننا في سماءٍ ذات أبراج
ولست أنسى ندامى وسط هيكله حتى الصباح غزالا طرفه ساحي
أهز عطفي قضيب البان معتنقاً منه وألثم عيني لعبة العاج
وقولتي والتفاتي عند منصرفي والشوق يزعج قلبي اي ازعاج (١)
يادير ياليت داري في فنائك او ياليت انك لي في درب دراج

ومن رقيق شعره قوله :

ريقته خمر وانفاسه مسك وذاك الثغر كافور
أخرجه رضوان من داره مخافة تفتتن الحور
يلومه الناس على تيهه والبدر إن تاه فمعذور (٢)

---

(١) القولة : القول .
(٢) كانت وفاة أبي عثمان سعيد الخالدي في حدود الأربعمائة من الهجرة .

دير الشياطين

•

كان موقع هذا الدير بغربي دجلة شمالا بقرب من مدينة الموصل، وعلى نحو اربعين كيلو متر منها . قال عنه صاحب المسالك: هواؤه رقيق لطيف ، وقلاليه عامرة كثيرة الاشجار ، وأرضه كثيرة الرياض ، وله سور يحيط به ، والمشرف من سطح هيكله يشرف على دجلة والجبل . وقال عنه الشابشتي في دياراته ، وهو من مطارح اهل البطالة ، ومواطن ذوي الخلاعة ؛ وللخباز البلدي فيه:

رهبان دير سقوني الخمر صافية مثل الشياطين في دير الشياطين
مشوا الى الراح مثل الرخ وانصرفوا والراح تمشي بهم مشي الفرازين (١)

والخباز البلدي هذا هو أبو بكر محمد بن احمد بن حمدان المعروف بالخباز

---

(١) الرخ : حجر من احجار الشطرنج ، والفرازين واحدتها الفرزان ، وهي الملكة في الشطرنج .

البلدي كان شاعراً مليح الشعر تغلب الفكاهة والطرافة على شعره ، وهو من بلدة يقال لها « بلد » وهي تقع في ارض الجزيرة التي فيها الموصل ، وكان أبو بكر من حسناتها (١)؛ والغريب في أمره انه كان أمياً ومع هذا فان شعره مليء بكل طريف ومليح ، وفي البيتين الآتيين يشير إلى أميته فيقول :

بالغت في شتمي وفي ذمي ... وما خشيت الشاعر الأمي
جربت في نفسك سماً فما ... أحمدت تجريبك للسم

وكان حافظاً للقرآن الكريم يقتبس منه في المناسبات ولدى الحاجة ، ومن هذا قوله في الاصدقاء :

الا إن اخواني الذين عهدتهم ... افاعي رمال لا تقصر في لسعي
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم ... نزلت بواد منهم غير ذي زرع

وقوله :

سار الحبيب وخلف القلبا ... يبدي العزاء ويضمر الكربا
قد قلت اذ سار السفين بهم ... والشوق ينهب مهجتي نهبا
لو أن لي عزاً أصول به ... لأخذت كل سفينة غصبا

ويعد الخباز البلدي من الشعراء المتعصبين لآل البيت لكثرة

(٢) انظر يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٠٨ .

ما جاء في شعره من مدح فيهم وتحامل على اعدائهم ، وقلما تخلو قصيدة من قصائده من الاشادة بالعلويين والتألم لما حل بهم من بني أمية . حتى غزلياته لا تخلو من هذا المعنى (١) .

---

(١) انظر قوله :

انا ان رمت سلواً عنك يا قرة عيني
كنت في الاثم كمن شا رك في قتل الحسين
لك صولات على قا يي بقد كالرديني
مثل صولات علي يوم بدر وحنين

ديارات الحيرة

دير سرجيس

•

كان هذا الدير بطيزناباذ بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق .

وطيزناباذ مدينة عامرة ذات بساتين ونخيل وكروم ، وحانات ومعاصر وخمرها من أجود الخمور ، وحاناتها من انظف الحانات .

وكان الدير في أحسن موقع ، وأنزه موضع ، تحف به الاشجار ، وتكتنفه الكروم من كل جانب ، وله منظر عالمي تبتهج لمرآه القلوب ، وتنشرح له الصدور وتشد اليه رحال المجان من كل مكان .

وقد كان أبونواس كثير التردد بهذا الدير حتى سماه الناس معصرة أبي نواس وله فيه الأبيات الآتية :

قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم ... أرجو الاله واخشى طيزناباذا

أخشى قضيب كرم ان ينازعني ... فضل الخطام اذا اسرعت اغذاذا

فان سلمت وما قلبي على ثقة من السلامة لم اسلم ببغـذاذا
ما أبعد الرشد من قلب تضمنه قطر بل فقرى بنا فكلواذا (١)

ولصديقه الحسين الخليع الأبيات الآتية :

أخوي هبا للصبوح صباحا هبا ولا تعدا النديم رواحا
عودا لعادتنا صبيحة أمسنا فالعود أحمد مغتدى ورواحا
هل تعذران لدير سرجس صاحباً بالصحو أم تريان ذاك جناحا
اني أعيذكما بألفة ودّنا ان تشربا بقرى الفرات قراحا
يا رب ملتبس الجفون بنومة نبهتـه بالراح حين أراحا
عجت قواقزنا وقدس قسنا هزجاً واصخبنا الدجاج صياحا
فكأن ريا الكاس حين ندبته للكاس انهض في حشاه جباحا
فأجاب يعثر في فضول ردائه عجلان يخلط بالعثار مزاحا
فهتكت ستر مجونه بتهتكي في كل ملهيـة وبحت وباحا

والحسين الخليع تقدمت ترجمته ، أما أبو نواس فهو الحسن ابن هانىء ولد سنة ١٣٩ هـ في الأهواز (٢) ونقل منها الى البصرة ،

---

(١) بنا وكلواذا : ناحيتان من نواحي بغداد بعـد احداهما عن الاخرى فرسخان ، وهما على شاطىء دجلة في الجهة الشرقية منها .

(٢) اما وفاته فقد كثر فيها الاختلاف والارجح انه توفي سنة ١٩٥ هـ في بيت خمارة كان يألفها ، ودفن في تل اليهود ببغداد .

وهو ابن ست سنين ، ومات والده وهو لا يزال صغيراً ، فأسلمته أمه (جلبان) الى كتاب يتخرج فيه فبرز في الدرس ثم قصد جامع البصرة ، فكان يعاشر الأدباء والمتأدبين ، فيفاتش هؤلاء ويفيدمن اولئك ، وحداه شغفه بالشعر الى ترك البصرة ، والخروج الى الأهواز ، والانقطاع الى والبة بن الحباب ، وكان والبة مقيماً بالأهواز عند ابن عمه النجاشي وهو واليها فأدبه وخرجه ، ثم لزم من بعده خلفاً الاحمر ، وكان خلف أشعر اهل وقته وأعلمهم ، فحمل عنه علماً كثيراً ، وأدباً واسعا ، فخرج واحد زمانه ، وكان يسحر الناس بظرفه وحلاوته ، وكثرة ملحه وكان أسخى الناس لا يحفظ ماله ، ولا يمسكه ، وكان شديد التعصب لقحطان .

ولم يكن أبونواس شاعراً فحسب ، بل كان شاعراً عالماً فقيهاً عارفاً بالاحكام والفتيا ، بصيراً بالاخلاق ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث ، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وقد تأدب بالبصرة ، وهي يومئذ اكثر بلاد الله علماً ، وفقهاً وأدباً ، وكان أحفظ لأشعار القدماء والمخضرمين ، وأوائل الاسلاميين ، والمحدثين ، ثم اتصل بالوزراء والأشراف فجالسهم وعاشرهم ، وتعلم منهم الظرف والنظافة ، فصار مثلاً في الناس ، واحبه الخاصة والعامة ، وكان يهرب من الخلفاء والملوك ، بجهده على

ذلك ويقول : « انما يصبر على مجالسة هؤلاء المنقطعون ؛ والله لكأني على نار اذا دخلت عليهم حتى انصرف الى اخواني ، لأني اذا كنت عندهم لا أملك من أمري شيئاً » (١)

ولأبي نواس أخبار كثيرة جمعها ابن منظور صاحب لسان العرب في جزأين : الأول مطبوع بمصر ، والثاني مطبوع ببغداد (٢) وأخباره كلها مجونية لتفوقه في وصف كل ما يتعلق بالمجانة ، والاشادة ببنت الحانة ، وكذا كانت جل اشعاره .

ومن أخباره انه سكر ذات ليلة وهو بمصر ضيف على واليها الخصيب ، ولما قام ليبول قعد على بوله ، وقال القصيدة الآتية ، وكان الى جانبه ابرهيم ولد الخصيب فكتبها على الحائط وهي :

يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلي ولم أنم
فاسقني البكر التي اختمرت ... بخمار الشيب في الرحم
تحت انصات الشباب لها ... بعد ما جازت مدى الهرم
فهي لليوم التي بزلت ... وهي ترب الدهر في القدم

---

(١) انظر طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء لابي العباس امير المؤمنين عبدالله بن المعتز في كلامه عن أبي نواس وأخويه أبي محمد وأبي معاذ .

(٢) تفضل الاستاذ شكري محمود احمد بطبع الجزء الثاني على نحو من العجلة والارتجال ، فلم يجيء كما أملنا .

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت في القوم ماثلة ثم قصت قصة الأمم
قرعتها بالمزاج يد خلقت للسيف والقلم
في ندامى سادة زهر أخذوا اللذات من أمم
فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم
فعلت في البيت اذ مزجت مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفر بالعلم (١)

ولما أصبح الصباح تذكر ما كان منه وسأل عن الشعر الذي قاله ، فقاده ابرهيم الى حيث بال وأراه الحائط فنقلها منه ، وقال لاأظن انني قلت كهذا أو سأقول ، وكانت هذه القصيدة أحب قصائده إليه .

ومن أخباره انه عوتب لعدم مدحه علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقيل له انك قد طرقت كل فنون الشعر ، ومدحت الكثيرين ؛ فقال والله ماتركت ذلك إلا إعظاماً له ، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله ثم أنشد في الحال :

قيل لي أنت أحسن الناس طراً في فنون من المقال النبيه

(١) السفر : بفتح الاول المسافرون وبكسرها الكتاب الكبير .

لك من جيد القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلاما تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أستطيع مدح امام كان جبريل خادماً لأبيه

ومن أخباره انه كان وجماعة من اخوانه يطوفون فى شهر رمضان اذا افطروا كل ليلة فمروا ليلة بمسجد السلولي وابنه يصلي بالناس التراويح ، وكان من أصبح الخلق وأحسنهم وجهاً فقال أبو نواس : لست ابرح حتى يفرغ فجلسوا ، فلما قرأ « أرأيت الذي يكذب بالدين » قال أبو نواس :

فقرا معلناً ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيما
أرأيت الذي يكذب بالدين فذاك الذي يدع اليتيما

فتعجب اخوانه من بديهته .

ومما يجب أن يعرفه كل أديب ومتأدب عن أبي نواس انه كان رحمه الله براء من وصمة الميل نحو الغلمان ، وقد برأه اكثر من مؤرخ (١) ولكنه كان يظهر خلاف ماهو عليه ، فيتغزل بالمرد ؛ ويكثر ذكر اللواط ، ويتحلى به في أشعاره مباراة لمطيع ووالبة وخلف والحسين الخليع ؛ وحرصاً على اظهار تفوقه عليهم في هذا الباب كما

(١) من هؤلاء المؤرخين امير المؤمنين عبد الله بن المعتز راجع كتابه طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء في كلامه عن محمد بن حازم .

برز في باب الخمريات حتى غمر المتقدمين ، واعجز المتأخرين .

ومما يؤثر عنه انه كان يقول : « لاضيعة على أديب حيث توجه ، فانه يجالس أشراف الناس ، وملوكهم في كل بلد يرده ، وما قرن شيء الى شيء أحسن من عقل الى أدب » .

ومن أخباره وهو بمصر ان الخصيب قدم له شراب غير الشراب الذي قدم لأبي نواس ؛ وكان الأول جيداً وليس الثاني .

فتظاهر أبو نواس بفقدان النشاط والاستعداد للشرب، وخرج وفي نفسه شيء فقال يهجو الخصيب :

يخص خصيب بالشراب ويرتجى ... لديه نوال ان ذا لعجيب
وليس خصيب بالخصيب لضيفه ... ولكنه وعر المحل جديب
فمن كان ذا أهل بمصر وثروة ... فاني بها صفر اليدين غريب

ومن أخباره انه اتهم بالزندقة فحبسه الرشيد بالسجن حتى ولي الخلافة ابنه محمد الأمين فجرى ذكر أبي نواس في مجلسه ، فقال الأمين ليس عليه باس ، فبلغ ذلك أبا نواس فقال هذه الأبيات وبعث بها الى الأمين :

ارقت وطار عن عيني النعاس ... ونام السامرون ولم يواسوا
امين الله قد ملكت ملكاً ... عليك من التقى فيه لباس
ووجهك يستهل به فيحيا ... به في كل ناحية أناس

كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه راس
تساس من السماء بكل يسر فأنت به تسوس كما تساس
فديتك ان عمر السجن باس وقد أرسلت ليس عليك باس (١)

فلما قرأها قال : صدق والله علي به ؛ فجيء به في الليل ، وكسرت قيوده ، وخرج حتى دخل عليه فانشده :

مرحباً مرحباً بخير امام صيغ من جوهر النبوة بحتا
يا أمين الاله يكلأك الله مقيماً وظاعناً اين سرتا
انما الارض كلها لك دار فلك الله صاحباً حيث كنتا
يا شبيه المهدي جوداً وبذلاً وشبيه المنصور هدياً وسمتا

فخلع عليه وأجازه وحمله ، فلم يخرج ومعه من المال شيء لا الخلعة والمركب وفرق المال جميعه على الخدم (٢) .

ومما يعرف عنه انه كان هوائي الحب والتشبيب ، فان شبب أمس بجنان وزعم انها وحدها قد استحوذت على قلبه وملكت شعوره ومشاعره ، فهو اليوم يشبب بعنان ويقول فيها اكثر مما قال

---

(١) وفي رواية : وقد ارسلت ليس عليه . وينسبها صاحب الاغاني لأبي العتاهية في الرشيد حين حبسه لزهده وعزوفه عن المنادمة والنسيب . ونفس ابن هانيء فيها ملحوظ .

(٢) هذا شأن أبي نواس فقد كان حاتم زمانه لا يدخر شيئاً وتوفي فقيراً .

في جنان، وهومن غد يتغزل في جمال مكنون أو منى أو غيرهما من اللواتي كن ينلن الضالة المنشودة ان هن نجحن في اثارة شاعر، فخلد فيهن شعرا ، ومن ذلك قوله في عنان :

لولا حذاري من جنان ... لخلعت عن رأسي عناني
وركبت ما اهوى وكم ... أجفو مقالة من نهاني
وخرجت أخبط سادراً ... لم أغن عن حب الغواني
قد ذبت غير حشاشة ... في النفس تحبسها الأماني
يامن يلوم على الصبا ... دعني فشانك غير شأني
لم تلق من حزن الهوى ... ما قد لقيت على عنان

وهي طويلة . ومن جيد شعره هذه الخمرية التي يقول فيها :

وفتية كمصابيح الدجى غرر ... شم الأنوف من الصيد المصاليت (١)
صالوا على الدهر باللهو الذي وصلوا ... فليس حبلهم منه بمبتوت
دار الزمان بافلاك السعود لهم ... وعاج يحنو عليهم عاطف الليت (٢)
نادمتهم قرقف الاسفنط صافية ... مشمولة سبيت من خمر تكريت (٣)
من اللواتي خطبناها على عجل ... لما عججنا بربات الحوانيت

---

(١) المصاليت : الشجعان الذين يقضون حوائج الناس .
(٢) الليت : العنق .
(٣) القرقف : الخمرة ، والاسفنط ما تطيب منها .

في فيلق للدجى كاليم ملتطم طام يحار له من هوله النوتي
اذا بكافرة شمطاء قد برزت في زي مختشع لله زميت (١)
قالت من القوم قلنا من عرفتهم من كل سمح بفرط الجود ممنوت
حلوا بدارك مجتازين فاغتنمي بذل الكرام وقولي كيفما شيت
فقد ظفرت بصفو العيش غانمة كغنم داود من اسلاب جالوت
فاحيي بر بحهم في ظل مكرمة حتى اذا ارتحلوا عن داركم موتي

قالت فعندي الذي تبغون فانتظروا

عند الصباح فقلنا بل بها ليتي

فأقبلت كضياء الشمس نازعة

في الكأس من بين دامي الخصر منكوت (٢)

قلنالها كم لها في الدن اذ حجبت قالت قد احتجبت من عهد طالوت
كانت مخبأة في الدن قد عنست في الأرض مدفونة في بطن تابوت

وقد أتيتم بها من كنه معدنها

فحاذروا أخذها في الكأس بالقوت (٣)

تهدي الى الشرب طيباً عند نكهتها كنفح مسك فتيق الفار مفتوت

---

(١) الزميت : الوقور .
(٢) نازعة : والمنكوت الملقى على رأسه والمعني الدن .
(٣) القوت : القوة .

كأنها بزلال المزن اذ مزجت ... شباك در على ديباج ياقوت

يديرها قمر في طرفه حور ... كأنما اشتق منه سحر هاروت

وعندنا ضارب يشدو فيطربنا ... ياديرهند بذات الجزع حييت

اليه ألحاظنا تثني اعنتها ... فلو ترانا اليه كالمباهيت (١)

من أهل هيت سخي الجرم ذو أدب ... له اقول مزاحاً هات ياهيتي (٢)

فينبري بفصيح اللفظ عن نغم ... مثقفات فصيحات بتثبيت

حتى اذا فلك الأدوار دار بنا ... مع الطبول ظللنا كالسبابيت (٣)

فزنا بها في حديقات ملففة ... بالرند والطلح والرمان والتوت

تلهيك اطيارها عن كل ملهية ... اذا ترنم في ترجيع تصويت

لم يثنني اللهو عن غشيان موردها ... ولم اكن عن دواعيها بصميت (٤)

حتى اذا الشيب فاجاني بطلعته ... اقبح بطلعة شيب غير مبخوت

عند الغواني اذا ابصرن طلعته ... اذن بالصرم من ود وتشتيت

فقد ندمت على ما كان من خطل ... ومن اضاعة مكتوب المواقيت

أدعوك سبحانك اللهم فاعف كما ... عفوت ياذا العلى عن صاحب الحوت

---

(١) المباهيت : المأخوذون .
(٢) سخي الجرم : بدين ضخم .
(٣) السبابيت : النوام .
(٤) الصميت : الكثير الصمت .

ومنه قوله :

لا تحفلن بقول الزاجر اللاحي ... واشرب على الورد من مشمولة الراح
صهباء صافية تجديك نكهتها ... تنفس المسك ملطوخ بتفاح
حتى اذا سلسلت في قعر باطية ... اغناك لألاؤها عن ضوء مصباح (١)
ما زلت اسقي حبيبي ثم الثمه ... والليل ملتحف في ثوب أمساح
حتى تغنى وقد مالت سوالفه ... «يادير حنة من ذات الاكيراح»

وقوله :

طربت الى الصنج والمزهر ... وشرب المدامة بالاكبر (٢)
والقيت عني ثياب الهدى ... وخضت بحوراً من المنكر
واقبلت اسحب ذيل المجون ... وأمشي الى القصف في مئزر
ليال أروح على أدهم ... كميت وأغدو على أشقر
خيول من الراح ما عريت ... ليوم الرهان ولم تضمر
براقعها من سحيق العبير ... ومن ياسمين وسيسنبر
ذخائر كسرى لأولاده ... وغرس كرام بني الأصفر

---

(١) سلسلت : صبت ، والباطية : اناء من الزجاج يتخذ للخمر ، واللألاء اللمعان والاشراق .

(٢) الصنج : بفتح فسكون صفيحة مدورة من النحاس تضرب على أخرى مثلها للطرب ، والمزهر العود المعروف .

غدا المشترون على أهلها ... فقالوا أتيناكم نشتري
خيولا لكم قد اتت فرهة ... فمن بين احوى الى احور (١)
فقالوا لهم انما خيلنا ... سلافة كرم بني قيصر
ولا تحمل اللبد لكنها ... خيول لكل فتى أزهر
وسيما اذا انت باكرتها ... كمثل دم الجوف في الأبهر
مشعشعة من بنات الكروم ... سالت نطافاً ولم تعصر
عقيلة شيخ من المشركين ... أتتنا تهادى من الكوثر
ولونان لون لها اصفر ... ولون على الماء كالعصفر
لوان أبا معشر ذاقها ... لخر سريعاً أبو معشر
وكبر من طيبها ساعة ... وقال بها ثم لم يصبر
فما برح القوم حتى اشتروا ... ومن يشتر الراح لم يخسر

وقوله يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور من قصيدة :

ايها المنتاب عن عفره ... لست من ليلي ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المر من ثمره
فاتصل ان كنت متصلاً ... بقوى من أنت من وطره
خاب من اسرى الى بلد ... غير معلوم مدى سفره

(١) فرهة : نشيطة .

وسدته ثني ساعده ... سنة حلت الى شفره

فامض لا تمنن علي يداً ... منك المعروف من كدره

فاسل عن نوء تؤمله ... حسبك العباس من مطره

كيف لا يدنيك من امل ... من رسول الله من نفره (١)

ملك قل الشبيه له ... لم تقع عين على خطره

واذا مج القنا علقاً ... وتراءى الموت في صوره

راح في ثنيي مفاضته ... أسد يدمي شبا ظفره

تتأبى الطير غدوته ... ثقة بالشبع من جزره

وترى السادات ماثلة ... لسليل الشمس من قمره

وكريم الخال من يمن ... وكريم العم من مضره

---

(١) عابوا عليه هذا القول ، وانتقدوه لجعله رسول الله من نفر الممدوح ، ولو عكس لاصاب .

دير حنة الكبير

•

كان يقع دير حنة الكبير في الاكيراح ، والاكيراح موضع بالحيرة ، وهو من الديرة القديمة ، قيل انه بني حين بنيت الحيرة ؛ ومحله نزه ؛ وحوله من البساتين والاشجار شيء كثير . وقد روى جحظة (١) قصة طريفة عن جمال هذا الدير وحسن بنائه ، قال : زرت ابرهيم بن المدبر وكان بالكوفة فاكرمني وأنس بي وأقمت عنده ثلاثة اشهر ، فجرى يوماً ذكر دير حنة ، فقال ابن المدبر : والله اني لأحب أن أراه ،وأشرب فيه ، فقد ذكر لي حسنه ، فاين هو من الحيرة ؟

فدله اسحق بن الحسين العلوي عليه وقال له : في هذه الايام ينبغي أن يقصد لأنها ايام ربيع ورياض معتمة بالزهر والغدران ،

(١) هو احمد بن جعفر بن موسى البرمكي أحد اعلام العصبة النواسية ، وقد تقدمت ترجمته في الكلام عن دير العلث .

والبادية بقربه ، فلن نعدم اعرابياً فصيحاً يطير الينا ونحن فيه ، فيهدي الينا بيض نعام ؛ ويجني لنا الكمأة .

فتقدم ابن المدبر الى غلمانه لاعدادما يحتاج اليه وخرج وخرجت حتى وافيناه ، فاذا هو حسن البناء والرياض محدقة به ، ونهر الحيرة الذي يقال له الغدير بقرب منه ، فضربت لنا خيم عنده ، وخرج رهبانه الينا ، وحملوا إلينا مما عندهم من التحف واللطف ، فأكلنا وجلسنا نشرب ، وغنيت له بشعر لأبي نواس في دير حنة (١) فبينا نحن كذلك اذ اجتازبنا غلام حسن عارضه كأنه بدرعلى غصن معه مصحف من مصاحف النصارى ، كامل العقل ساحر اللحظ واللفظ ، فشرب ابن المدبر على وجهه رطلاً ، وسقاه قدحاً ، واستأذنه الغلام في النهوض وقال : « معي مصحف لاتتم للرهبان صلاة إلا بحضوره وهذا وقت صلاتهم ، وقد ضرب الناقوس منذ ساعة » وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه ، وأمر له بمائة دينار . وعملت شعراً ، صنعت فيه صوتاً ، فما زال صوته طول مقامه وهو:

فديت من مر بنا مسرعاً ... يسعى الى الدير باسفاره
خدمت رب الدير من اجله ... حتى كأني بعض أحباره
حذّرني النار ولم يدر ما ... في القلب والاحشاء من ناره

(١) يقصد دير حنة الصغير ، ومطلع الابيات التي لأبي نواس :
يا دير حنة من ذات الاكيراح ... من يصح عنك فاني لست بالصاحي

حيرني تفتير اجفانه وحل عقدي عقد زناره (١)

وأقمنا بمكاننا ثلاثة أيام ثم عدنا الى الكوفة ، وقد عمات في تلك الايام شعراً فيه ويقال انه لم ينزل شاعر الكوفة إلا وسأل عن دير حنة ، وقصده وشرب في حانته ، وكان هذا الحال منذ العهد الاموي .

وقد أورد صاحب المسالك حكاية خلاصتها ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك شد الرحال الى هذا الدير من دمشق ، وشرب من يد خماره « مرعبدا » أربعة ارطال . وفي العهد العباسي حظي هذا الدير بما لم يحظ به غيره من الديارات ، وخلدت فيه العصبة النواسية اشعاراً رقيقة جلها غنائي .

ولجحظة فيه الأبيات المتقدمة ، وهذان البيتان :

وبالحيرة لي يوم ويوم بالاكيراح
اذا عزّ بنا ماء مزجنا الراح بالراح

(١) هكذا عاد الغزل في العصور العباسية ، ولا جرم أن هذا الشذوذ قد نجم عن ثلاثة اسباب : — (١) فرض الحجاب القاسي على المرأة ، ومنعها من الخروج أو المشاركة في مجالس الأدب والشعر كما كانت الحال في العصور العربية السابقة — العصور القديمة ، العصر الاسلامي ، العصر الأموي — فأصبحت العين لا تقع على امرأة في طريق أو مجلس إلا نادراً . — (٢) اختلاط العرب بالعجم ، وهذا الداء — داء الشذوذ الجنسي — من أدواء العجم ، ولهم فيه قصب السبق ؛ فسرت العدوى منهم الى بعض المحسوبين على العرب كهذا الشاعر وغيره . — (٣) الفقر والتشرد واستخدام غلمان الاعاجم في البيوت .

دير حنة الصغير

•

كان يقع دير حنة الصغير في الاكيراح [1] بقرب من دير حنة الكبير السالف الذكر ، فهذا الدير من اديار الحيرة ، وموضعه نزه كثير البساتين والرياض والمياه .

كانت الحيرة في العصر الاموي تغلب عليها النصرانية ، وبقيت كذلك حتى العصر العباسي وسبب ذلك اعتناق ملوك المناذرة النصرانية ، وتشييدهم كثيراً من الكنائس والديارات فيها ، واقبال اهالي الحيرة على دفع الجزية والبقاء على دينهم عند فتح المسلمين العراق . ودير حنة هذا من الاديار القديمة هناك ، وقد كانت الشعراء تقصده وتتغنى بمحاسنه ، ولبكر بن خارجة الكوفي فيه

---

(١) الاكيراح : مفرده كرح بكسر فسكون بيت الراهب والجمع اكراح ، وقد ورد في أشعار العرب بصيغة التصغير .

الأبيات الآتية :

ألا سقي الخورنق من محل ظريف الروض معشوق أنيق
أقمت بدير حنته زماناً بسكر في الصباح وفي الغبوق
ومنا لابس اكليل زهر ومختضب السوالف بالخلوق (١)
كأن رياضه حسناً ونوراً سحائب ذهبت بسنا البروق (٢)
كأن تقاطر الاشجار فيه اذا غسق الظلام قطار نوق
وماذا شئت من در الأقاحي هناك ومن يواقيت الشقيق

ولأبي نواس يصف رهبان هذا الدير ودقة اجسامهم من الصلاة وترجيعهم للزبور :

دع البساتين من آس وتفاح واعدل هديت الى دير الاكيراح
اعدل الى نفر دقت شخوصهم من العبادة الا نضو اشباح
يكررون نواقيساً مرجعة على الزبور بأمساء واصباح
تبعد بسمعك عن صوت تكرهه فلست تسمع فيه صوت فلاح (٣)
الا الدراسات للانجيل عن كثب ذكر المسيح بابلاغ وافصاح

وبكر بن خارجة شاعر كوفي طبع على المجون والاجادة فيه ،

---

(١) الخلوق : بفتح الخاء الطيب .
(٢) النور : بفتح النون الزهر .
(٣) تكرهه : تنفر منه والفعل مضعف ومبني للمفعول .

وهو من موالي بني أسد كان وراقاً يتكسب من الوراقة ويصرف ما يكسبه في الخمرة ، وبين جدران الأديار ، قعدت به همته عن الظهور فرضي بضيق العيش ، واكتفى بطرق الحانات ، ومعاشرة الخمارين .

ومن غرائبه انه كان يحب هدهداً في خراب من خرابات الحيرة ؛ فكان يبكر اليه بقنينتين من شراب فلا يزال يشربه على صوته الى ان يسكر (١) .

ومن أخباره أن بعض أمراء الكوفة حرم بيع الخمر على خماري الحيرة ، وكسر أواني خمورهم ، فجاء بكر بن خارجة كعادته ليشرب عندهم فرأى الخمر مصبوبة في الطرق فبكى طويلاً وقال :

يا لقومي لما جنى السلطان ... لا يكونن لما أهان الهوان
قهوة في التراب من حلب الكر ... م عقاراً كانها الزعفران
قهوة في مكان سوء لقد صا ... دف سعد السعود ذاك المكان
من كميت يبدي المزاج لها لؤ ... لؤ نظم والفصل منها جمان
كيف صبري عن بعض نفسي وهل ... يصبر عن بعض نفسه الانسان

---

(٥) الأغاني ج ٢٠ ص ٨٧ .

ديـر زرارة [1]

•

كان موقع دير زرارة بين الكوفة وحمام أعين على يمين من قصد الكوفة من بغداد . وكان للدير حانات لا يوجد في غيرها شراب يماثل شرابها ؛ وفيه من العناية وحسن الخدمة ما يحبب الى كل ماجن المضي إليه ، ولذا فقد كان عامراً بذوي البطالات وعشاق اللهو واللعب لا يخلو منهم في وقت من الأوقات .

وكثيراً مانزله المسافر للراحة والاستضافة ، فأقام فيه أياماً مأخوذاً بحسن موضعه وجودة قهوته ، وجمال من يقطنه .

قيل انه خرج مطيع بن اياس ويحيى بن زياد [2] للحج

(١) زرارة : بضم الاول محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمرو من بني البكار .

(٢) كان صديقه ورضيع كأسه توفي ايام المنصور فرثاه مطيع بابيات منها :

يا أهلي ابكوا لقلبي القرح ... وللدموع الذوارف السفح

راحوا ببحيى ولو تطاوعني ال ... أقدار لم يبتكر ولم يرح

فلما أشرفا على زرارة أشار احدهما على صاحبه بنزول الدير ؛ والتزود منه ، والمبيت فيه ليلة ، ففعلا ، وما زالا في ضلالهما منغمسين حتى عاد الحجاج ، فارعوى باطلهما ، وندما على ما فرط منهما ، وحلقا رؤوسهما ، وركبا بعيرين ، ودخلا مع الحجاج ، فقال مطيع :

الم ترني ويحيى اذ حججنا وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي حج ودين شمال بنا الطريق الى زراره
فآب الناس قد غنموا وحجوا وأبنا موقرين من الخساره

كانت ولادة مطيع بن اياس الكناني في الكوفة ونشأ بها ؛ وتلقى علومه فيها،وهو من الشعراء المخضرمين الذين ادركوا العهدين الأموي والعباسي ، وكان ظريفاً خليعاً ، ماجناً حلو العشرة ، مليح النادرة ؛ رقيق الشعر ، ملماً بأخبار العرب وأنسابها ، ويعد بحق عميد المدرسة النواسية ، لأنه أول من تماجن في شعره ، واكثر في ذكر الخمرة ، وابتدع التغزل بالذكور .

وقد سحر مطيع بطلاوة حديثه وخفة روحه ناساً كثيرين ، منهم من له المكانة المرموقة في الأدب والفهم ، ومنهم من له المقام المحسود في البأس والسلطان ، فمشوا تحت لوائه ، ورضوا بزعامته وامامته ، ولم يكن ابن المقفع ويحيى بن زياد الحارثي ووالبة بن الحباب ، وحماد عجرد ، وحماد الراوية ، وعمارة بن حمزة ، وجعفر

ابن أبي جعفر المنصور إلا بعض المولعين به ، والهائمين في مذهبه الطليق .

قيل ان أبا جعفر المنصور دعا به يوماً ، وقال له : عزمت على أن تفسد ابني ، وتعلمه زندقتك !فقال: اعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظن بي هذا ، والله ما يسمع مني الا ما إذا وعاه جمله وزينه، فقال له أبو جعفر :ما أرى ذلك ، ولا يسمع منك إلا ما يضره ويغره (١) فلما رأى مطيع الحاحه في أمره طلب الأمان منه فأمنه فقال :

اي مستصلح فيه ، وأي نهاية لم يبلغها في الفساد والضلال حتى لقد زعم انه يعشق امرأة من الجن ، وهو مجتهد في خطبتها (٢) فقال له المنصور ويلك أتدري ما تقول ؟ قال : الحق والله اقول وسل عن ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : عد الى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر . ثم ان جعفر غلبه وسواسه وكان يصرع في

---

(١) كان متهماً بالزندقة ، ولما آلت الخلافة الى المهدي احضره وهدده ، فقال يا امير المؤمنين ان كنت ما تقول حقاً فما نعني المعاذير ؛ وان كان باطلا فما بضر الأباطيل ، فضحك المهدي ، وأخلى سبيله .

(٢) كان جعفر بن أبي جعفر المنصور خليعاً مستهتراً قال لأبيه يوماً وقد دخل عليه غرة ومطيع عنده ماحملك على ان دخلت داري بغير اذن فقال له ابوه لعن الله من أشبهك ولعنك ، فقال والله لأنا أشبه بك منك بأبيك .

اليوم مرات حتى مات فحزن عليه المنصور وبكاه نديمه مطيع .

ولم يقتصر سحر مطيع على الرجال بل تعداه الى الغيد الحسان ، فكان اذا ضمه مجلس مع حسناء لا يخرج إلا وقد استحوذ على لبها ، وتركها لاتطيق صبراً عنه ، وتعلق مطيع جارية يقال لها ريم في بغداد فخرج الشعراء في ايام المنصور الى الولايات في طلب معاشهم، و بقي أسيراً لديها لايطيق الابتعاد عنها وفيها يقول :

لولا مكانك في مدينتهم لظعنت في صحبي الألى ظعنوا
اوطنت بغداد بحبكمو وبغيرها لولاكم الوطن

وكان يتعشق جارية يقال لها مكنونة ؛ فمرت به يوماً ولم تسلم ، فعبث بها ، فشتمته فقال :

فديت من مر بنا يوماً ولم يتكلم
وكان فيما خلا منه كلما مر سلم
وان رآني حيا بطرفه وتبسم
لقد تبدل فيما اظن والله اعلم
فليت شعري ماذا علي في الود ينقم
يارب انك تعلم اني بمكنون مغرم
وانني في هواها ألقى الهوان واعظم
يالائمي في هواها احفظ لسانك تسلم

واعلم بانك مهما اكرمت نفسك تكرم
ان الملول اذا ما ملّ الوصال تجرّم
اولا فمالي أجفى من غير ذنب وأحرم

ومن لطيف شعره ما كتبه الى صديقه يحيى بن زياد، وكان بمجلس أنس في بستان من بساتين الكرخ مستضافاً لدى صديقه صباح والذي فيه يقول :

كم ليلة بالكرخ قد بتها جذلان في بستان صبّاح (١)
في مجلس تنفح أرواحه يا طيبها من ريح أرواح
يدير كأساً فاذا ما دنت حفت باكواب واقداح
في فتية بيض بهاليل ما ان لهمو في الناس من ملاح (٢)
لم يهنني ذاك لفقد امرىء ابيض مثل البدر وضاح
كانما يشرق من وجهه اذا بدا لي ضوء مصباح

وتوفي مطيع بن اياس في الثلاثة الأشهر الأولى من حكم الهادي أي سنة ١٦٩ هـ .

---

(١) صباح : بتشديد الباء .
(٢) البهاليل : ج بهلول بضم الاول وهو الرجل الفاضل .

ديارات الاساقف

•

كانت تقع هذه الديارات بظاهر الكوفة ، في اول الحيرة بين قصر ابي الخصيب [1] و بقايا قصر السدير ، وكان يجري بالقرب منها نهر يسمى الغدير ، وكانت هذه الديارات تحتوي على قباب وقلالي وقصور وكلها تعرف بديارات الأساقف ، وقد بنيت هـذه الديارات في موضع من أحسن مواضع الحيرة وانزهها وحولها من الرياض والزروع والرياحين شيء كثير جداً .

ومما يؤثر عن هذه الديارات انها كانت ملتقى المجان من شعراء الحيرة ، ولعلي بن محمد بن جعفر العلوي فيها الأبيات الآتية :

---

(١) أبو الخصيب مولى من موالي أبي جعفر المنصور؛ كان قصره هذا من أجل القصور ، وأعلاها يصعد الى سطحه من مائة مرقاة ، وفي سطحه مجلس يشرف على النجف وما جاورها .

كم وقفة لك بالخور نق لا توازى بالمواقف
بين الغدير الى السدير ر الى ديارات الأساقف
فمدارج الرهبان في اطمار خائفة وخائف
دمن كأن رياضها يكسين أعلام المطارف
وكأنما غدرانها فيها عشور في مصاحف
وكأنما أنوارها تهتز بالريح العواصف
طرر الوصائف يلتقين بها الى طرر الوصائف
تلقى اوائلها أوا خرها بالوان الزخارف
بحرية شتواتها برية فيها المصايف
وردية الحصباء كا فورية فيها المشارف

أما العلوي هذا فهو علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب . كان من شعراء الكوفة المعدودين ، ومجانها المعروفين. أما أبوه فقد عرف بالصلاح والتقوى والعلم والدراية والسمت والوقار ؛ ولذلك بايعه الناس بالخلافة ايام فتنة الاخوين ـ الأمين والمأمون ورفضوا الاعتراف بابراهيم بن المهدي الذي بايعه أهالي بغداد ـ وقد قبلها مكرهاً تحت ضغط ابنه الماجن والحاح الناس في مكة وكانت مبايعته بالخلافة لست خلون من ربيع الآخر سنة ٢٠٠هـ. وقد استغل ابنه هذه الظروف فأمعن في الفسق والفجور وارتكاب

المنكر ، يشاركه ضلاله صديق ماجن يدعى حسين بن حسن الأفطس (١)

و بعد فشل والده في مكة عاد الى الكوفة و بقي ثائراً على بني العباس وقاد الثائرين ضد ابراهيم بن المهدي وقد وقعت بينه و بين جند ابراهيم واقعة رهيبة في ضواحي الكوفة سنة ٢٠٢ هـ فانهزم فيها وطلب الأمان والاستسلام .

(١) راجع الطبري في حوادث المائتين .

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٢	ثلاث	طوال
١٥	١٥	بكر	عكبرا
٢٧	٣	ما	أما
٣٧	٦	داوعي	دواعي
٣٨	٦	تعريضاً	تعريفاً
٤٨	٦	انضواء	انضاء
٥٠	١٣	للنجل	للبخل
٥٢	٦	عهدنه	عهدته
٦٩	١	مفرطق	مقرطق
٩٠	٤	أدار	أدرنا
١٠٤	١٣	قوارب	غوارب
١٠٤	١٨	القوارب ج قارب	الغوارب ج غارب
١٠٤	١٨	أسنانها	أسنامها
١٠٩	١٣	كان	كاد
١١٠	٣	يشوح	يوشح
١١٨	٣	على سور	عليه سور
١١٩	٧	صفراً	صغراً
١٢٢	١٣	فمن	فمي
١٢٤	٨	ياس	يأسى
١٣٤	١٣	تحت	ثمت
١٤٤	٨	تتأبى	تتأتى

فهرست الكتاب

صفحة		صفحة	
٣	المقدمة	٨٣	دير الحوات
٧	ديارات بغداد	٨٥	دير العذارى
٩	دير العلث	٨٩	دير مريحنا
١٨	دير دِرتا	٩٢	عمر مار يوحنا
٢٦	دير درمالس	٩٦	دير السوسي
٢٩	دير قنى	١٠١	ديارات الموصل
٣٢	دير الروم	١٠٣	دير سعيد
٣٧	دير سابر	١١٢	دير ميخائيل
٤٤	دير الثعالب	١١٨	عمر الزعفران
٥٤	دير الجاثليق	١٢١	الدير الأعلى
٥٩	دير مديان	١٢٦	دير الشياطين
٦١	دير سمالو	١٢٩	ديارات الحيرة
٦٥	دير اشموني	١٣١	دير سرجيس
٦٨	دير مار جرجس	١٤٥	دير حنة الكبير
٧١	دير قوطا	١٤٨	دير حنة الصغير
٧٥	دير باشهرا	١٥١	دير زرارة
٧٩	دير عبدون	١٥٦	ديارات الأساقف

الثمن ٣٥٠ فلساً او ما يعادلها

مطابع دار الكشاف - بيروت

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074325943